من أسرار البيان

في حديث

سيد الاستغفار

أ.د. رفعت إسماعيل السودانى

أستاذ البلاغة والنقد ووكيل الكلية

نص الحديث :

عن شَدَّادُ بْنُ أَوْسٍ ــ رَضِيَ اللَّه عَنْه ــ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَال سَيِّدُ الاسْتِغْفَارِ أَنْ يَقُولَ العبد : اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ وَأَبُوءُ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلا أَنْتَ . مَنْ قَالَهَا بِالنَّهَارِ مُوقِنًا بِهَا فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَمَنْ قَالَهَا بِاللَّيْلِ وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ . (١)

مناسبة حال الراوى لمضمون الحديث :

راوى الحديث شداد بن أوس بن ثابت الخزرجى ابن أخى حسان بن ثابت شاعر رسول الله ﷺ كنيته أبو يعلى أو أبو عبد الرحمن ، وهو أنصارى بخارى مدنى قال فيه أبو الدرداء : إن الله عز وجل يؤتى الرجل العلم ولا يؤتيه الحلم ويؤتيه الحلم ولا يؤتيه العلم وأن أبا يعلى ممن آتاه الله العلم والحلم ، وقيل : فضل سداد ابن أوس بخصلتين : ببيان إذا نطق وبكظم إذا غضب .

وعند الطبرانى أنه كان عند رسول الله ﷺ - وهو يجود بنفسه فقال : مالك ياشداد ؟ قال ضاقت بى الدنيا فقال : ليس عليك إن الشام سيفتح وبيت المقدس سيفتح وتكون أنت وولد ك من بعدك أئمة فيهم إن شاء الله تعالى .

وكان عالما حليما كثير العباده والورع والخوف من الله تعالى ، وروى عن النبى ﷺ خمسين حديثا ، روى البخارى منها حديثا ومسلم آخر وروى عنه ابنه يعلى وجماعة من التابعين ، سكن حمص ، ومات ببيت المقدس سنه ٥٨هـ

---

(١) فتح البارى بشرح صحيح البخارى لابن حجر تحقيق طه عبد الرؤوف سعد وآخرون ٢٣/١١٥-١١٨ كتاب الدعوات باب فضل الاستغفار رقم ٦٣٠٦ ط ١٩٧٨م ، مكتبة القاهرة .

وقيل : ٤١ هـ وقيل : ٦٤هـ وهو ابن خمسة وسبعين عاماً وقبرة بظاهر باب الرحمة ، باق إلى زمن الإمام النووى .([1])

وقال حسان فيه وفى أبيه :

وَمِنَّا قَتِيلُ الشِّعْبِ أَوْسُ بْنُ ثَابِتٍ شَهِيدًا وَأَسْنَى الذِّكْرَ منَّى الْمَشَاهِدُ

وَمَنْ جَدُّه الأَدْنَى أَبِى وابْنُ أُمِّهِ لأُمِّ أَبِى ذَاكَ الشَّهِيدُ المَجَاهِدُ .

يريد فى البيت الأول والد شداد بن أوس راوى حديث سيد الاستغفار .([2])

أخى القارئ ألا تحب أن تقتدى بسيدنا شداد وتطلب من الله تعالى أن يزينك بالعلم والحلم معاً .

التحليل :

سيد الاستغفار :

لفظ "سيد " فى اللغة له معان عدة منها : الرئيس ، والذى فاق غيره بالعقل والمال والنفع والدفع والمعطى ماله فى حقوقه ، والمعين بنفسه ، والذى لا يغلبة غضبه ، والعابد ، والورع ، والحليم وكل مقهور مغمور بحلمه ، والكريم ، والملك ، والسخى ، ومولى العبد ، والزوج .

وفى الحديث " قالوا : فما فى أمتك من سيد ؟ قال : بلى من آتاه الله مالا ورزق سماحة فأدى شكره وقلّت شكايته فى الناس " . ([3])

([1]) الإصابة فى تمييز الصحابة لابن حجر ٢/١٩٥،١٩٦ رقم ٣٨٤٢ دار الكتب العلمية بيروت وتهذيب الأسماء واللغات للأمام النووى ١/٢٤٢ رقم ٢٤٧ دار الكتب العلمية ببروت .

([2]) شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصارى ضبط وتصحيح عبد الرحمن البرقوقى ١٧٣ ، ١٧٤ ، دار الأندلس بيروت .

([3]) تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدى تحقيق على شرى مادة سود ، دار الفكر بيروت ، ١٩٩٤م.

والسيد المتولى للسواد أى الجماعة الكثيرة وينسب الى ذلك فيقال : سيد القوم ولا يقال سيد الثوب وسيد الغرس ، وساد القوم يسودهم ولما كان من شرط المتولى للجمعة أن يكون مهذب النفس قيل لكل من كان فاضلاً فى نفسه سيد .([1])

ولفظ " الاستغفار "مصدر الفعل " استغفر " أى طلب الغَفْر.

والغَفْر: تدور مادته حول الستر والتغطية تقول العرب : اصبغ ثوبك بالسواد فهو أغفر لِوسْخِه أى : أحمل له وأغطى له ، وغفر المتاع : جعله فى الوعاء : أدخله وستره وأوعاه ، وغفر الشيب بالخضاب غطاه ، والمِغْفَر والمغفرة والغفارة : زَرَدُ الدرع ينسج على قدر الرأس يلبس تحت القلنسوة ، والمغفر : العود من شجر الصمغ يمسح منه ما أبيض فتخذ منه شراب طيب ، والغَفَر : نبات رِبْعِيٌّ ينبت فى السهل والآكام كأنه عصافير خضر نيام إذا كان أخضر فإذا يبس فكأنه حمر غير قيام .

والغفرة والمغفرة : التغطية على الذنوب والعفو عنها ، وغفر الله ذنبه يغفره غفرا وغِفْرَة حسنة ومغفرة وغفورا وغفراناً وغفيرا وغفيرة ، وقيل : الغفران والمغفرة هو أن يصون العبد من أن يمسه العذاب ، وقد يقال : غفر له إذا تجاوز عنه فى الظاهر ولم يتجاوز فى الباطن .

واستغفره من ذنبه ولذنبه واستغفره إياه : طلب منه مغفرة قولاً وفعلاً ، ولم يؤمروا أن يسألوه باللسان فقط بل به وبالفعل لأن الاستغفار باللسان بلا فعال فعل الكذابين ، قال سيبويه :

استغفر الله ذنبا لست محصيه ** رب العباد إليه القول والعمل

([1]) المفردات فى غريب القرآن للراغب الاصفهانى تحقيق محمد سيد كيلانى ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، دار المعرفة بيروت .

والغفور والغفار من صفات الله تعالى من أبنية المبالغة ومعناها : الستر لذنوب عباده المتجاوز عن خطاياهم وذنوبهم وأن يصون العبد من أن يمس بالعذاب . ([1])

الاستغفار فى القرآن الكريم :

وورد الاستغفار فى القرآن الكريم على وجوه منها : الاستغفار عن الشرك وبمعنى الصلاة وبمعنى السؤال ([2]). وقد وردت مادة " غفر " بصيغها المختلفة فى القرآن الكريم ما يقرب من مائتين وأربعة وثلاثين موضعاً . ([3])

وبتأمل هذه المواضع يتقرر الآتى :

إن سؤال المغفرة دعاء الأنبياء والصالحين وأولى العزم لأنفسهم ولإخوانهم وهو شرف يجب المسارعة لنيله والتسابق لتحقيقه مع إقرارهم بأن عدم المغفرة خسران مبين .

والله تعالى يغفر الذنوب جميعاً ما عدا الشرك ومغفرته تعالى حُرِمَ منها المشركون والمنافقون الذين ماتوا على كفرهم ، ومغفرة الله تعالى خير من دنيا الكافرين .

والمغفرة دعوة الله تعالى ووعده للذين آمنوا وعملوا الصالحات وصبروا واتبعوا الذكر ويخشون ربهم بالغيب وقرنها بالأجر الكبير ([4])

([1]) تاج العروس مادة غفر والمفردات فى غريب القرآن ٣٦٢ .

([2]) الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز للدامغانى تحقيق محمد حسن أبى العزم الزفيتى ١٢٦/١ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٩٩٥م .

([3]) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم محمد فؤاد عبد الباقى ٤٩٩ - ٥٠٣ دار الحديث بالقاهرة ط أولى ١٩٨٦م . ومعجم ألفاظ القرآن الكريم مجمع اللغة العربية ٨١٧/٢-٨٢٠ ط ١٩٨٩م .

([4]) سورة هود : الآية ١١ ، وسورة الملك : الآية ١٢ .

وبالأجر العظيم (١) وبالأجر الكريم (٢) وبالرزق الكريم (٣) .

وأعدها الله تعالى للْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ . (٤)

وخلاصة ما سبق فى قوله تعالى : ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى ﴾ . (٥)

ولذا كان الاستغفار شعار المتقين ومنهجهم فى الحياة : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ . (٦)

وداوموا عليه وبخاصة فى أوقات الإجابة : ﴿ وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ . (٧)

والمتقون فى ذلك قد سلكوا طريق النجاة فى الآخرة بالفوز بالجنة وضمان عدم عذاب الله تعالى لهم ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾.(٨)

---

(١) سورة المائدة : الآية ٩ وسورة الأحزاب : الآية ٣٥ ، وسورة الحجرات : الآية ٣ .

(٢) سورة يس : الآية ١١ .

(٣) سورة الأنفال : الآية ٤ ، الآية ٧٤ .

(٤) سورة الأحزاب : الآية ٣٥ .

(٥) سورة طه : الآية ٨٢ .

(٦) سورة آل عمران : الآية ١٣٥ .

(٧) سورة الذاريات : الآية ١٨ .

(٨) سورة الأنفال : الآية ٣٣ .

وسلكوا - أيضاً - طريق الفوز بالسعادة فى الدنيا ، تأمل معى دعوة هود - عليه السلام - لقومه عاد : ﴿ وَيَاقَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْـــهِ يُرْسِـــلْ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴾.(١)

وتأمل كذلك دعوة نوح - عليه السلام - لقومه ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُـــمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَـــلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً ﴾ . (٢)

وبعـــد :

فهذه لمحة خاطفة تبرز مكانة الاستغفار فى القرآن الكريم وتؤكـــد علـــى أهميته فى حياة المؤمن وَلِى عودة - إن شاء الله تعالى - إلى تنـــاول أســـاليب الاستغفار فى القرآن الكريم بالدراسة المتأنية المتأملة المحاولة اكتشاف بعـــض أسرارها .

استغفار النبى - ﷺ - :

ورد عن النبى - ﷺ - أنه كان يكثر مـــن الاســـتغفار مُشَـــرِّعًا لأمتـــه وتحريضا على التوبة والاستغفار وإشارة إلى أن الاستغفار من أعلى المقامـــات يجب أن يتحلى به العبد وإن كان نبياً معصوماً ، وقد كنى النبى - ﷺ - عـــن هذه الكثرة بالعدد فقد كان - ﷺ - يستغفر الله تعالى فى اليوم مائـــة مـــرة أو سبعين مرة . (٣)

---

(١) سورة هود : الآية ٥٢ .

(٢) سورة نوح : من الآية ١٠ - ١٢ .

(٣) دليل الفالحين لابن علان الصديقى تعليق الأستاذ محمـــود حســـن ربيـــع ٤/٧٣٢-٧٣٣ مصطفى البابى الحلبى .

وبين – ﷺ – أنه " لو لم تذنبوا لذهب الله تعالى بكم ولجاء بقوم يذنبـــون فيستغفرون الله تعالى فيغفر لهم " . (١)

وكان الصحابة يَعُدُّون لرسول الله – ﷺ – فى المجلس الواحد مائة مـــرة " رب اغفر لى إنك أنت التواب الرحيم " . (٢)

وبين لنا رسول الله – ﷺ – أن " من لزم الاستغفار جعل الله له من كـــل ضيق مخرجاً ومن كل هَمٍّ فرجا ورزقه من حيث لا يحتسب " . (٣)

وأرشدنا – ﷺ – إلى صيغ الاستغفار :

فقد " كان رسول الله – ﷺ – إذا انصرف من صلاته استغفر الله ثلاثـــاً وقال : اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام " . (٤)

وأنه " كان – ﷺ – يكثر أن يقول قبل موته : سبحان الله وبحمده استغفر الله وأتوب إليه " . (٥) وأن " من قال : استغفر الله الذى لا إله إلا هـــو الحـــى القيوم وأتوب إليه غفرت ذنوبه وإن كان قد فَرَّ من الزحف " (٦) إلى غير ذلـــك مما ورد فى الاستغفار .

وأفضل صيغ الاستغفار صيغة " سيد الاستغفار موضوع البحث ولذلـــك أسباب ستتضح من خلال الدراسة – إن شاء الله تعالى – .

---

(١) السابق نفسه ٤/٧٣٣ .

(٢) السابق نفسه ٤/٧٣٣ – ٧٣٤ .

(٣) السابق نفسه ٤/٧٣٤ .

(٤) السابق ٤/٧٣٨ ، ٧٣٩ عن ثوبان .

(٥) السابق نفسه ٤/٧٣٩ عن عائشة .

(٦) السابق نفسه ٧/٧٣٤ ، ٧٣٥ عن ابن مسعود .

* ومن مظاهر البلاغة فى اللفظ الشريف " سيد الاستغفار "

أولاً : الاستعارة المكنية حيث شبه الاستغفار بإنسان ثم حذف المشبه به ورمز إليه بلازمه وهو " سيد " . وإسناده إليه استعارة تخيلية وفى ذلك تصوير للمعقول بالمحسوس وتجسيد للمعانى فلما كان هذا الدعاء جامعاً لمعانى التوبة كلها صار بمنزلة السيد من الناس الذى يقصد فى الحوائج ويرجع إليه فى الأمور ، وفى ذلك تأكيد للمعنى وتقوية له وكأنه قضية بدليلها فكما أن السيد من الناس يقضى حوائج من يسوسهم ويصونهم عن الضرر ويجلب لهم النفع كذلك هذا الدعاء ببركة ما يحتويه من المعانى الشريفة والأغراض السامية تغفر الذنوب ويستجاب الدعاء وتجلب الخيرات وتدفع المضار .

ثانياً : " أل " فى " الاستغفار " للعهد العلمى وهو الاستغفار المعهود شرعاً وهو الذى يتحقق فيه شرط القبول من التوبة الصادقة بشروطها الأربعة أو بعبارة أخرى : الاستغفار المراد شرعاً هو ما كان بالقول والفعل وإلا عُدَّ كذباً واستهزاء وتلاعباً .

ثالثاً : فيه إجمال مشوق إلى ما يأتى بعده من تفصيل وفى ذلك تثبيت المعانى وترسيخها فى النفس فلا تزول عن خاطر المؤمن أبداً ، وفيه حث على تعلمها وحفظها والمواظبة عليها لما تحمله من فوائد عظيمة فى الدنيا والآخرة .

رابعاً : أول ما يقرع سمع القارئ لفظ " سيد " مما يدخل على نفسه الفرح والسرور بما يحمله لفظ " سيد " من ظلال التفاؤل والبشرى بتحقق الإجابة وغفران الذنوب وفى ذلك براعة استهلال حيث بدئ الحديث بكلام مناسب للمقصود . ([1])

([1]) شروح التلخيص السعد وآخرون / ٥٣٤/٤ دار السرور - بيروت - صورة ، والأطول للعصام ٢٥٧/٢ المطبعة السلطانية - ١٢٨٤هـ .

" أن يقول العبد " :

ثم يأتى الخبر بالمصدر المؤول فتتم جملة القول مشوقة إلى مَقُوله الـــذى يفصله الحديث الشريف وفى ذلك تحفيز وشحذ للهمة فى أن تتهيأ له فإذا جـــاء صادف نفساً مشوقة وعقلاً واعياً يحفظه ويعيه ويجعله منهجاً وسلوك حياة .

و " أل " فى " العبد " :

للعهد الذهنى وهى التى يشار بها للحقيقة ضمن فرد مبهم بمعنى أن يـأتى المعرف بلام الحقيقة مرادا به فرد مبهم " غير معين " من أفراد الحقيقة باعتبار عهديته فى الذهن لاشتمال الحقيقة عليه لقرينة دالة على ذلك مثـــل قولـــك : " ادخل السوق " وليس بينك وبين مخاطبك معهود فى الخارج يشار إليـــه بـــاللام فالمراد بالسوق فرد من أفراد جنس الســـوق بقرينـــه قولـــك : " ادخـــل " لأن المخاطب لا يستطيع أن يدخل جميع أفراد السوق بل الذى يمكنه أن يدخل سـوقاً واحدة منها .

ومثل قولهم : " المدرسة تعلمه ، والسجن يؤدبـــه ، والمســـجد يهذبـــه ، والعصا توجهه . والفرق بين العهد الخارجى والعهد الذهنـــى هـــو أن العـــهد الخارجى مشار فيه إلى حصة من الحقيقة واحدة أو اثنتيـــن أو جماعـــة تقـــدم العلم بها ، والعهد الذهنى مشار فيه إلى نفس الحقيقة ومفهوم المســـمى ضمـــن فرد مبهم منها . ([1])

وذكر المسند إليه " الفاعل " للإشارة إلى ما يلقيه لفظ " العبد " من ظـــلال وإيحاءات تتعدم لو حذف أو ذكر مكانه لفـــظ غـــيره فمـــن هـــذه الإيحـــاءات والإشارات :

([1]) شروح التلخيص ١/٣٢٦ - ٣٢٧ .

١- فى التعبير بلفظ " العبد " إشارة إلى مراعاة الداعى بـ "سيد الاستغفار" لقواعد العبودية فى قلبه ولسانه وجوارحه . (١)

٢- وفيه إشارة إلى أن من فى السموات ومن وفى الأرض لله تعالى عبيداً وملكاً وأن الملائكة الذين عنده تعالى لا يستكبرون عن عبادته (٢) . وسمى أولياءه عباد الرحمن (٣) ، وسمى أهل الجنة عباد الله (٤) ، وجعل العبودية وصف أكمل خلقه وأقربهم إليه من الأنبياء داود (٥) ، وأيوب (٦) وإبراهيم وإسحاق ويعقوب (٧) ، وسليمان (٨) ، والمسيح (٩).

ووصف أكرم خلقه عليه وأعلاهم عنده منزلة بالعبودية سيدنا محمد - ﷺ - فى أشرف مقاماته حيث ذكره فى مقام إنزال الكتاب عليه (١٠) ، وفى مقام التحدى بأن يأتوا بمثل القرآن، وفى مقام الدعوة إلى الله تعالى (١١)، وفى مقام الإسراء (١٢) .

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين لابن القيم ١٢٣/١ - ١٣٧ دار الحديث بالقاهرة ط أولى ، ١٩٨٣م .

(٢) سورة النساء : الآية ١٧٢ ، وسورة الأعراف : الآية ٢٠٦ ، وسورة الأنبياء : الآية ١٩-٢٠ .

(٣) سورة الفرقان : الآية ٦٣ .

(٤) سورة الدهر : الآية ٦ .

(٥) سورة ص : الآية ١٧ .

(٦) سورة ص : الآية ٤١ .

(٧) سورة ص : الآية ٤٥ .

(٨) سورة ص : الآية ٣٠ .

(٩) سورة الزخرف : الآية ٥٩ .

(١٠) سورة البقرة : الآية ٢٥ ، وسورة الفرقان : الآية ١ ، وسورة الكهف : الآية ١ .

(١١) سورة الجن : الآية ١٩ .

(١٢) سورة الإسراء : الآية ١ .

وأخبر عن نفسه – ﷺ – بأنه عبد حيث يقول : لا تطرونى كما أطـــرت النصارى المسيح ابن مريم فقولوا عبد الله ورسوله " ويقول : " أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد " كما جاء وصفه – ﷺ – فى التوراة بعبـــد الله ورسوله . (١)

٣- وفيه إشارة إلى أن البشارة والأمن المطلقين لعباد الله (٢) وأن الله تعـــالى عزل الشيطان عن سلطانه عليهم خاصة وجعل سلطانه على مـــن تـــولاه وأشرك به . (٣)

٤- وفيه إشارة إلى أن إحسان العبودية أعلى مراتب الدين وهو الإحسان كمـــا جاء فى الحديث عند سؤال جبريل له – ﷺ – عن الإحسان : " أن تعبـــد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك " . (٤)

٥- وفيه دلالة على أن العبد لا ينفك من العبودية فى الدنيا وفى القرب وفـــى يوم القيامة حتى إذا دخل العبد الجنة انقطع التكليف وصارت عبودية أهـل الثواب تسبيحاً مقروناً بأنفاسهم لا يجدون له تعباً ولا نصبـــاً ، وأن العبـــد كلما تمكن فى منازل العبودية كانت عبوديته أعظم والواجب عليـــه منـــها أكبر وأكثر من الواجب على من دونه . (٥)

٦- وفيه تأكيد على العبودية الخاصة التى هى عبودية الطاعة والمحبة واتبـــاع الأوامر وأن أهل طاعته وولايته هم عبيد إلهيته وقد شرفوا بإضافتهم إليـــه تعالى . (٦)

---

(١) انظر مدارج السالكين ١/١١٥-١١٦ .

(٢) سورة الزمر : الآية ١٨ ، وسورة الزخرف : الآية ٦٨ – ٦٩ .

(٣) سورة الحجر : الآية ٤٢ ، وسورة النحل : الآية ٩٩-١٠٠ .

(٤) مدارج السالكين ١/١١٦-١١٧ .

(٥) المرجع السابق نفسه ١/١١٧ ، ١١٨ .

(٦) المرجع السابق نفسه ١/١١٨ ، ١٢٠ .

٧- وفيه إشارة إلى أن العبد هو الذى تحققت فيه مراتب العبودية بنوعيها :

العلمية : بالعلم بذاته تعالى وصفاته وأفعاله وأسمائه وتنزيهه عما لا يليق به ، وبالعلم بدينه الأمرى الشرعى وهو الصراط المستقيم الموصل إليه ، وبدينه الجزائى المتضمن ثوابه وعقابه .

والعملية : فكان من أصحاب اليمين بل يرتقى إلى درجة السابقين المقربين الذين قاموا بالواجبات والمندوبات وتركوا المحرمات والمكروهات وزهدوا فيما لا ينفعهم فى معادهم وتورعوا عما يخافون ضرره بل وصل الأمر عندهم أن انقلبت المباحات فى حقهم طاعات وقربات بالنية . (١)

٨- وفيه إيحاء بأن العبد الذى تحقق فيه ما سبق يدرك التوجيه الإلهى للمؤمنين وتحذير الله لهم من أن يكون القول عندهم غاية فى ذاته دون أن يقترن القول بالعمل فيما يدخل تحت طاقة الإنسان فى قوله تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ . (٢) بما يحمله من الاستفهام الإنكارى الذى يحمل التحذير والعتاب الشديد لقبح الاكتفاء بالأقوال عن الأفعال المتاح العمل بها بلا عناء شديد إذا كان العمل تطوعاً . (٣)

" اللهم " :

من أشهر استعمالاتها النداء المحض كما هنا ، وأصلها : يا أله والميم زائدة وليست بأصل الكلمة وهذه الميم على مذهب سيبويه والبصريين زائدة فى

---

(١) المرجع السابق نفسه : ١/١٢١-١٢٣ .

(٢) سورة الصف : الآية ٢ ، ٣ .

(٣) التفسير البلاغى للاستفهام فى القرآن الكريم د . عبد العظيم المطعنى ٤/٢٤٩ ، ٢٥٠ مكتبة وهبه ط أولى ١٩٩٩م .

الآخر عوضاً عن حرف النداء ولذا لا يجمع بينهما وزيدت فـــى الآخـــر لئـــلا يجتمع زيادتان فى الأول ، وخصت الميم لأنها هى التى عهدت زيادتـــــها فـــى الآخر ، وقيل : الله اسم للذات .

وقيل : الله اسم للذات والميم للصفات التسع والتسعين فجمع بينهما إيذانـــاً بالسؤال بجميع أسمائه تعالى وصفاته قال الحسن البصرى : اللهم مجتمع الدعاء وقال غيره : من قال " اللهم " فقد دعا الله بجميع أسمائه وصفاته .

واختير الإتيان بـــ " اللهم " فى الأدعية كثيراً لما فيه من الدلالـــــة علـــى قرب الله تعالى من الداعى قرب علم لا قرب مسافة وتحديد (١) ولذا قيل : هـذه اللفظة من أرفع ما يستفتح به الدعاء (٢) فالله هو المنادى الأعظم يناديـــــه كـــل محتاج ويطلب منه كفاء حاجاته وينشط ليقترب من آفاق الحكمة فـــــى الصـــبر والرضا . (٣)

والدعاء النبوى كثر فيه النداء بـــ " اللهم " بخلاف الدعاء القرآنى فلم يرد إلا فى خمسة مواضع (٤) . لعل كثرته فى الدعاء النبوى يرجع إلى مـــا فـــى " اللهم " من العموم - كما سبق - ولذا كان الرسول - ﷺ - يستفتح بـــه أكـــثر دعائه مستحضرا عظمة المسمى ومتقرباً إلى الله بهذا الاسم المفـــرد الـــذى لا

---

(١) انظر مقالى " من دقائق البيان النبوى فى صيغى التلبية " فى مجلة اللغة العربية بإيتـــاى البارود عدد ٢٠٠٣م ، ص ١٥-١٨ مستلة ، وبلاغـــة الدعـــاء فـــى الحديـــث النبـــوى ٢١-٢١٣.

(٢) حاشية على مختصر ابن أبى حمزة - الشيخ محمـــد الشـــنوانى ٧٧ ط عيســـى البـــابى الحلبى.

(٣) علم المعانى ومقتضى الحال د . أسعد أحمد على ٤٨ ، ٤٩ ، ٢٨٤ دار السؤال جامعـــة دمشق ١٩٨٧م .

(٤) سورة آل عمران : الآية ٢٦ ، وسورة المائدة : المائدة ١١٤ ، وسورة الأنفـــال : الآيـــة ٣٢ ، سورة يونس : الآية ١٠ ، وسورة الزمر : الآية ٤٦ .

يطلق على غيره عز وجل ويحث على الدعاء به فى جميع الأمـــور صغيرهـــا وكبيرها . ([1])

وحديث " سيد الاستغفار " يتكون من عشرة جمل : الجمل الخمس الأولى منها تمهيد بين يدى الدعاء

الجملة الأولى : " أنت ربى :

جاءت هذه الجملة مفصولة عن جملة النداء الإنشائية لكمال الانقطاع بـــلا إيهام خلاف المقصود وبدئت بضمير الخطاب " أنت " مخاطبـــاً بـــه الـــرب – سبحانه وتعالى – والأصل فى الخطاب أن يكون لمعين مشاهد وقد يترك هـــذا الأصل ويراد به غرضان :

الغرض الأول : التعميم ، والغرض الثانى : ادعاء أن المخاطب حـــاضر فى الذهن مشاهد .

والغرض الثانى هو المراد هنا وذلك بأن يوجه الخطاب إلى غير مشـــاهد وذلك بأن كان غير المشاهد مستحضراً فى القلب كأنه نصب العين وهذا يحـــدث كثيراً عند من يحب أو يكره تراه يتخيل أن مطلوبه جالس أمامه فيخاطبه خطاب الحاضر وفى ذلك إفراغ لنفس المتكلم وتهدئة لعواطفه الثائرة . ([2])

وهذا الغرض يكثر فى مقامات الفخر والمدح والغزل والرثاء لأنه أكـــثر إيحاء عند التعبير عن المشاعر الإنسانية .

([1]) بلاغة الدعاء فى الحديث النبوى د . سلامة جمعه داود ٢١٤ ، ٢١٥ ، رسالة دكتـــوراه مخطوطة بكلية اللغة العربية بالقاهرة ، ١٩٩٨م .

([2]) من بلاغة النظم العربى د . عبد العزيز عبد المعطى عرفه ١/١٤٠ عالم الكتب – بيروت ط ثانية ١٩٨٤م .

وضمير الخطاب فى الجملة " أنت ربى " فيه استحضار مقـــام الربوبيـــة فى القلب مما يدل على أنه تعالى مطلع عليه رقيب على أحواله وهـــذه حالـــة المشاهدة القلبية التى لها أثر عظيم على سلوك المؤمن . وفيه ترقى الداعى بـــ " سيد الاستغفار " من حضيض بُعْدِ الحجاب والمغايبـــة إلـــى ذروة المشـــاهدة والمخاطبة .

وفيه الإشارة إلى أن مقام الداعى المستجاب الدعاء هو مقـــام الإحســـان الذى هو أن تعبد الله كأنك تراه وتخاطبه . ([1])

" ربـــى " :

الرب فى اللغة يطلق على المالك والســـيد المطـــاع والمدبـــر والمربـــى والقيم والمنعم والصاحب والمصلح ، ورَبَّ ولده يربه ربا بمعنى ربَّاه : أحســـن القيام عليه ووليه حتى يفارق الطفولية ، ولك نعمةَ تَرُبُّهَا أى تحفظها وترعاهـــا وتربيها ، والسحاب يَرُبُّ المطر أى يجمعه وينميه .

ومادة الراء والباء تدل على إصلاح الشىء والقيام عليه ولـــزوم الشـــىء وضم الشىء إلى الشىء والتربية إنشاء الشىء حالاً بعد حال إلى حـــد التمـــام فالمادة تدور حول الحفظ والرعاية والتعهد والحفظ والرب هو الله تعالى وهـــو رب كل شىء أى مالكه .. ولا يطلق لفظ الرب غير مضاف إلا على الله تعـــالى المتكفل بمصلحة الموجودات الإله الرب المعبود .. ولا يقال فى غير الله تعـــالى إلا بالإضافة . ([2])

([1]) الكشاف مع حاشية السيد ١/٦٤ ، ٦٥ فى تفسير قوله تعالى : ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين﴾ دار المعرفة - بيروت .

([2]) لسان العرب لابن منظور مادة ريب والمفردات فى غريب القرآن ١٨٤ ومعجـــم ألفـــاظ القرآن الكريم مجمع اللغة العربية ١/٤٤٤ ، ٤٤٥ .

ولعلك تلحظ معى سر تقديم هذه الجملة على جمل الحديث العشر فنظـــرا لما فيها من معانى التربية والإنعام والتفضل التى هى آثار لا تنقطع واعـــتراف بالربوبية ولجوء إلى مصدر الخير وتلطف واستعطاف بدىء بها جمـــل الثنـــاء الخمس التى جاءت تمهيداً للدعاء .

يقول ابن القيم عن جمع توحيد الربوبية " فيشهد صاحبه قيوميـــة الـــرب تعالى فوق عرشه يدبر أمر عباده وحده فلا خـــالق ولا رازق ولا معطـــى ولا مانع ولا مميت ولا محيى ولا مدبر لأمر المملكة ظاهرا وباطناً غيره فما شـــاء كان وما لم يشأن لم يكن لا تتحرك ذرة إلا بإذنه ولا يجرى حادث إلا بمشـــيئته ولا تسقط ورقة إلا بعلمه ولا يعزب عنه مثقال ذرة فـــى الســـماوات ولا فـــى الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا أحصاها علمه وأحـــاطت بـــه قدرتـــه ونفذت بها مشيئته واقتضتها حكمته فهذا جمع توحيد الربوبيـــة " .([1]) فتوحيـــد الربوبية والشعور بوجوده سبحانه حقيقة فطرية أقرها المشـــركون لـــه تعـــالى واعترفوا بعدم صلاحية آلهتهم لشىء من صفات الربوبية . ([2])

وجاء لفظ " رب " مضافاً إلى ضمـــير الداعـــى ممـــا يوحـــى بـــالوحدة والانفراد فى مناجاته لربه وطلبه منه ما يصلحه . ([3])

الجملة الثانية " لا إله إلا أنت " :

جاءت هذه الجملة مفصولة عما قبلها لأنها تأكيد لـــها فـــالأولى توحيـــد الربوبية وهذه توحيد الألوهية . والمعنى إفراده تعالى بالعبادة بكل ما شـــرع أن يعبد به من أعمال القلوب والجوارح وإسلام الوجه لله تعالى .

([1]) مدارج السالكين ٣/٥٣٢ .

([2]) المرجع السابق نفسه .

([3]) عقيدة المؤمن لأبى بكر الجزائرى ٧٤ .

وجاء فيها – أيضاً – ضمير الخطـــاب ليقــرر الحضــور والمشــاهدة الوجدانية لعظمة الله تعالى وسلطانه وأنه تعالى وحده المعبود بحق .

فبعد أن أقر الداعى بـــ " سيد الاستغفار " بوجدانية الربوبية يقـــرر هنـــا وحدانية الإلاهية . يقول ابن القيم عن جمع توحيد الإلهية : " فهو : أن يجمـــع قلبه وهمه وعزمه على الله وإرادته وحركاته على أداء حقـــه تعـــالى والقيـــام بعبوديته سبحانه فتجتمع شئون إرادته على مراده الدينى الشـــرعى " ([1]) ولـــذا كانت دعوة جميع الرسل أقوامهم إلى توحيد العبادة لله تعـــالى وأن لا يشـــركوا به شيئاً ([2]) .

وكلمة التوحيد لها أسماء عدة منها : كلمة التوحيد وكلمة الإخلاص وكلمة الإحسان وكلمة العدل والطيب من القول والكلمة الطيبة والكلمة الثابتة ودعـــوة الحق وكلمة التقوى والكلمة الباقية وكلمة الله العليا والمثل الأعلى وكلمة الســواء وكلمة النجاة والعهد وكلمة الاستقامة ومقاليد السموات والأرض والقول الســـديد والبر والدين الخالص والصراط المستقيم وكلمة الحق والعروة الوثقـــى وكلمـــة الصدق .

والمتأمل فى هذه الأسماء يجد كلمة التوحيد تجمعها جميعاً .

وشروطها : العلم بمعناها نفياً وإثباتاً ، واليقيـــن بـــها ، والإخـــلاص ، والصدق ، والمحبة والسرور بها ، والانقياد بـــأداء حقوقـــها وهـــى الأعمـــال الواجبة إخلاصاً لله طلباً لمرضاته ، والقبول المنافى للرد .

وفوائدها كثير منها : أنها أفضل الذكر لأن الإيمان لا يصـــح إلا بهـــا ولأنها تؤثر تأثيراً بيناً فى تطهير القلب من كل وصف ذميم وهى النور الذاتـــى

([1]) بلاغة الدعاء فى الحديث النبوى ١٢٩ .

([2]) عقيدة المؤمن لأبى بكر الجزائرى ٨٥ .

طاردة للشيطان ويبقى أثرها وثوابها عظيم واسع ولا يعذب بالنار من قالها وهى أفضل الطاعات قليلة الحروف خفيفة على اللسان ثقيلة فى الميزان وثمنها الجنة وهى أمان من وحشة القبر وهول المحشر وهى شعار المؤمنين إذا قاموا من قبورهم وتفتح أبواب الجنة الثمانية لقائلها وإن دخل أهل النار بتقصيرهم فلابد من خروجهم منها .

وهى " قاعدة لمنهج كامل تقوم عليه حياة الأمة المسلمة بحزافيرها فلا تقوم هذه الحياة قبل أن تقوم هذه القاعدة كما أنها لا تكون حياة إسلامية إذا قامت على غير هذه القاعدة أو قامت على قاعدة أخرى معها أو عدة قواعد أجنبية عنها " . (١)

" لا إله إلا الله " ومغفرة الذنوب :

الداعى بـ " سيد الاستغفار " يعلم أن من أسباب المغفرة التوحيد فإن كمل توحيد العبد وإخلاصه لله فيه وقام بشروطه كلها بقلبه ولسانه وجوارحه فقد حقق أعظم أسباب المغفرة قال وهب لمن سأله : أليس لا إله إلا الله مفتاح الجنة ؟ قال : بلى ولكن ما من مفتاح إلا له أسنان فإن جئت بمفتاح له أسنان فتح لك وإلا لم يفتح لك " (٢) .

فالمفتاح كلمة التوحيد والأسنان الأعمال بمقتضاها . فمن تحقق لكلمة التوحيد قلبه أخرجت منه كل ما سوى الله تعالى محبة وتعظيماً وإجلالاً ومهابة وخشية ورجاء وتوكلاً .

---

(١) لا إله إلا الله منهج حياة سيد قطب من كتاب حقيقة لا إله إلا الله ، أبو الأعلى المودودى وسيد قطب وصالح بن فوزان ١٤١ مكتبة السنة ط أولى ١٩٩٢م القاهرة .

وينظر لوامع البينات شرح أسماء الله تعالى والصفات للفخر الرازى ١٤٣-١٥٤ تعليق عبد الرؤوف سعد - دار الكتاب العربى بيروت ط ثانية ١٩٩٠م . والفتوحات الربانية على الأذكار النووية لابن علان ٢١٧/١ - ٢١٨ دار إحياء التراث العربى - بيروت.

(٢) كلمة الإخلاص لابن رجب الحنبلى ١٣ .

ورد عن أم هانئ رضى الله عنها – أن النبى ﷺ – قال : " لا إلـه إلا الله لا تترك ذنبا ولا يسبقها عمل " .

وعن شداد بن أوس وعبادة بن الصـــامت – رضـــى الله عنـــهما – أن النبى ﷺ قال لأصحابه : " ارفعوا أيديكم وقولوا : لا إله إلا الله . فرفعنا أيدينـــا ساعة ثم وضع رسول الله – ﷺ – يده ثم قال : " الحمد لله اللهم بعثتنى بـــهذه الكلمة وأمرتنى بها ووعدتنى الجنة عليها وإنك لا تخلف الميعاد " ثـــم قـــال : " أبشروا فإن الله قد غفر لكم " (١)

وبعد كل هذا نجد أن الداعى بـــ " سيد الاستغفار " يدرك كل هذه المعانى التى توصى بها كلمة التوحيد ويحق له أن يجعلها ثناء على الله تعالى تمـــهيدا لدعائه حتى تتحقق الإجابة ببركتها .

الجملة الثالثة : خلقتنى :

وورد :" أنت خلقتنى " وعليه فالخطاب مستمر فى استحضار الداعى بـــ " سيد الاستغفار" الحضرة الإلهية وما تبثه فى القلب من مهابة وإجـــلال يمـــهد لإجابة الدعاء . (٢)

وجاءت الجملة مفصولة لأنها تؤكد ما أكدته الجملتـــان الســـابقتان مـــن توحيده عز وجل واستقلاله بالربوبية بذكر " الخلق " الذى هو من أعظم دلائـــل الألوهية .

" وتخصيص الخلق بإضافته إلى ضمير المتكلم " خلقتنى " مع أنـــه عـــز وجل خلقه وخلق كل شىء فيه إشعار بأن هذا المستغفر مستغرق فى حضـــوره

---

(١) انظر أسباب المغفرة لابن رجب الحنبلى تحقيق أشرف بن عبد المقصود ٨٣-٩١ مكتبـــة التراث الإسلامى ١٩٨٧م .

(٢) فتح البارى بشرح صحيح البخارى لابن حجر ١١٦/٢٣.

مع ربه والبوح بحاله معه " ([1]) مما دفعه إلـــى الاعـــتراف بنعمـــه والإقـــرار بذنوبة فى قوله : " أبوء لك بنعمتك علـــى وأبـــوء بذنبـــى " وعلـــى روايـــة " خلقتنى " بدون ضمير الخطاب " أنت " تكون الجملة خالية مـــن القصـــر لأن معجزة الخلق ظاهرة لا تخطئها العيون وهـــى دليـــل ظـــاهر علـــى ألوهيتـــه ووحدانيته عز وجل .([2])

وفى تعبير الداعى بـــ " خلقتنى " إشارة الى أنه يعى تمامـــا مـــا أفـــاده الاستفهام الإنكارى فى قوله تعالى : ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ﴾ ([3]) من الإنكـــار والنفى والانعدام التام لصفة الخلق عن غيره تعالى إذ لا خالق غـــير الله عـــز وجل .([4])

وفيه اقتداء بالتعبير القرآنى فى قوله تعالى ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ ([5]) وأن الداعـــى يتمثـــل معنى الآية من أن " ذلكم الموصوف بتلك الأوصاف السابقة من كونه بديعا لـــم يتخذ صاحبة ولا ولدا خالق الموجودات عالما بكل شئ هو الله بدأ بالاسم العلـــم ثم قال : " ربكم " أى مالكم والناظر فى مصالحكم ثم كرر وصف خلقـــة كـــل شىء ثم أمر بعبادته لأن من استجمعت فيه هذه الصفات كان جديرا بالعبادة وأن يفرد بها " ([6])

([1]) بلاغة الدعاء فى الحديث النبوى ٢٦٩.

([2]) المرجع السابق نفسه .

([3]) سورة فاطر الآية ٣.

([4]) التفسير البلاغى للاستفهام فى القرآن الحكيم ٣/٣٠٢ ، ٣٠٣.

([5]) سورة الأنعام الآية ١٠٢.

([6]) البحر المحيط لأبى حيان الاندلسى ٤/١٩٥ دار الفكر ط ثانية ١٩٨٣م .

وجاءت جملة " خلقتنى " بعد الإقرار بصفتى توحيد الربوبيـــة وتوحيـد الأولهية وفى ذلك تأثر بالأسلوب القرآنى حيث جاءت صفة الخلق مطلقة فـــى آية الحشر فقط محوطة بحشد من الصفات الآخرى تسبقها وتلحقها بصورة غير متكررة قال تعالى ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَـالِمُ الْغَيْـبِ وَالشَّـهَادَةِ هُـوَ الرَّحْمَانُ الرَّحِيمُ * هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِـكُ الْقُـدُّوسُ السَّـلَامُ الْمُؤْمِـنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ * هُـوَ اللَّـهُ الْخَـالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْـأَرْضِ وَهُـوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ . (١)

وختام هذه الصفات بقولة تعالى ﴿ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَـى ﴾ دعـا بعـض العلماء إلـى القـول بأن هـذه المجموعة مـن الأسـماء تتضمـن اسـم الله الأعظم .(٢)

الجملة الرابعة " وأنا عبدك " :

نلاحظ فى جمل الحديث : " اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ خَلَقْتَنِـي وَأَنَـا عَبْدُكَ وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ " أن المسند إليـه ذكـر بضمـير الخطاب أو ضمير التكلم وفى ذكره فى جملة " وأنا عبدك " فضل توكيد وتقرير للمعنى مما يتلاءم مع النمط التأكيدى الذى سار عليه الدعاء فكل جملة مؤكـدة بالجملة التى تليها .(٣)

---

(١) سورة الحشر الآية رقم ٢٢-٢٤.

(٢) أسماء الله الحسنى دراسة فى البنية والدلالة د٠ أحمد مختار عمر ١٣٦-١٣٧ عالم الكتب بالقاهرة ط أولى ١٩٩٧م.

(٣) بلاغة الدعاء فى الحديث النبوى ٩٢.

والمقام اقتضى التعبير بضمير التكلم " أنا " فى هذه الجملة وفى الجملة التى تليها لأن المقام مقام اعتراف وإقرار بالعبودية فالداعى " يصور حاله وضعفه وانكساره فهو يحضر نفسه بين يدى الله بضمير المفرد المتكلم " أنا " ليرتاد الوقوف وحيداً بين يدى الله ويتمرس على خطاب الذات العلية حتى إذا وقف أمام الله يوم القيامة عبدا فردا ﴿ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا *لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا *وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴾ ([1]) كان له إلف بخطاب الله وعهد بمناجاته فلا يكون حاله حال الغريب مع الغريب ولكن حال القريب مع القريب والحبيب مع الحبيب .([2])

وفى جملة " وأنا عبدك " إشارة الى أن الداعى قد امتثل الأمر " فاعبدوه " فى قوله تعالى ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ﴾([3]) وصار عبدا صادقا يقوم بواجبات العبودية ويلتزم بموجبات المغفرة التى أوضحها القرآن الكريم كما سبق .([4])

وفيها أيضا إيحاء بأن الداعى بـ " سيد الاستغفار " قد حقق فى نفسه منازل العبودية من اليقظة وإدراك خطر المعاصى ومحاولة التخلص منها بالتوبة والاستغفار وعمل الحسنات والانتباه لمعرفة الزيادة والنقصان فى الأيام لتدارك فائتها وتعمير باقيها .([5])

([1]) سورة مريم الآية ٩٣-٩٥.

([2]) بلاغة الدعاء فى الحديث النبوى ١٠٥.

([3]) سورة الأنعام الآية ١٠٢

([4]) انظر الايحاءات والاشارات للفظ العبد ، ص ص ٤١ ، ٤٢ .

([5]) أنظر تفصيل ذلك مدارج المسالكين ١/١٥٨/١٦٧.

مواقع الجملة .. وأنا عبدك .. الإعرابى :

فى إعراب هذه الجملة رأيان :

الرأى الأول : الجملة حال فى موضع نصب " قال الطيبى " : يجوز أن تكون حالا مؤكدة ويجوز أن تكون مقررة أى أنا عابد لك ويؤيده عطف قوله وأنا على عهدك " (١)

والجملة الحالية قد نالت عناية الإمام عبد القاهر لما يترتب على إثبات الواو أو حذفها من فروق معنوية تحمل أسرارا يدركها الذوق البلاغى (٢) وذلك بعد الصحة والجواز التى تكفل بها النحو فحين تدخل الواو فلا يكون الغرض متجها الى الحال وحدها ففى قولك : جاء زيد وهو راكب يقصد إلى أمرين على سبيل الاستقلال يجمع بينهما بواو الجمع فأنت تقصد إفادة السامع خبرين : أولهما مجىء زيد والثانى هيئته حين جاء .

وفى قولك : جاء زيد هو راكب بدون الواو يكون قصدك الإخبار بهيئة مجيئه لا بالمجىء نفسه .

والجملة الحالية المقترنة بالواو إذا جاءت مؤكدة لابد أن تصحبها زيادة معنى يتحقق به الغرض من الواو الموجبة بالمغايرة فهى تفيد الاستقلال والإخبار والتقرير فى ذاتها وأحيانا للإشعار بعلة الحكم وفى ذلك دليل على استقلالها وتقررها فى نفسها حتى صارت سببا فى وقوع الجملة المقيدة بها .

الفرق بين واو العطف وواو الحال :

الواو تشعر باستقلال الجملة فى إفادة معنى مقرر لها سواء كانت عاطفة أو حالية غير أنها مع الحالية تفيد زيادة تلبس جملة الحال بالجملة السابقة بحكم المقارنة بين هيئة الحال وصاحبها فى زمن الوقوع .

---

(١) عمدة القارئ شرح صحيح البخارى للعينى ٢٢/٢٧٨ دار إحياء التراث العربى بيروت .

(٢) دلائل الأعجاز تعليق الشيخ محمود شاكر ٢٠٢-٢٢١ مكتبة الخانجى ط ثانية ١٩٨٩.

أما الواو العاطفة فإنها لا تقتضى تقييد المعطوف عليه بالوقوع فى زمن واحد كما أنها بحكم وضعها لا تقتضى ترتيبا ومن ثم فإنها عاطفة أدل على الاستقلال وإفادة حكم آخر غير المعطوف عليه من واو الحال التى تقتضى مزيد ارتباط بما قبلها بحكم محلها الإعرابى واتحاد زمن الوقوع .

أيهما أبلغ ؟

المقام هو الذى يحدد الأبلغية فإن أريد إظهار المعنيين فى صورة معنى واحد كانت الحالية أبلغ وإن أريد التعدد والاستقلال كان العطف بالواو أجدر . (١)

وأنا أرى أن الواو فى جملة " وأنا عبدك " للعطف لأن المقام هنا مقام تعدد واستقلال بالعطف يحقق إبراز المعطوف والمعطوف عليه فى صورة أمر مطلوب لذاته لا على وجه المقارنة التى تظهر القصد إلى غرض واحد من القيد والمقيد وبدليل قول الطيبى : " يجوز أن تكون حالا ، لأن عبارة " يجوز كذا " يفهم منها عرفا أن تركه أولى .

اعتراض :

قد رجحنا أن الواو فى الجملتين .. وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت عاطفة وأن هاتين الجملتين توكيد للوحدانية التى افتتح بها هذا الدعاء لأن الإقرار بالربوبية يستلزم الإقرار بالعبودية ويستلزم الوفاء بالعهد الذى أخذه الله على الإنسان وحق التوكيد أن يفصل عن المؤكد لأنهما شىء واحد ولا يعطف الشىء على نفسه .

---

(١) انظر تفصيل ذلك فى " الواو ومواقعها فى النظم القرآنى " د٠محمد الأمين الخضرى ٤٧٢-٤٨٧ رسالة دكتوراه مخطوطة بمكتبة كلية اللغة العربية بالقاهرة ، ١٩٨٣م.

دفع الاعتراض :

ويدفع هذا الاعتراض بأن التوكيد كما اشتمل على معنى جديد كأنه غـاير المؤكد فاستحق أن يعطف عليه فجملة : (وأنا عبدك) فيها معنى زائـد علـى جملة : (أنت خلقتنى) هو الدلالة على العبودية فجيء معها بالواو تمييزا لـهذا المعنى وتفخيما له واهتماما بشأنه .

وكذا جملة : (وأنا على عهدك ووعدك ما أستطعت) ([1]) تفيـد الوفـاء المطلق لله تعالى فى كل ما أخذه على العبد فجيء بالواو ولتشير الى تفخيم هـذا المعنى والاهتمام بشأنه وأن له أثراً عميقاً فى إجابة الدعاء .

الجملة الخامسة : وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت

العهد :

العهد : حفظ الشئ ومراعاته حالا بعد حال ، هذا أصله ثم استعمل فـى الموثق الذى تلزم مراعاته .([2])

ومادة عهد توحى بمعان كثيرة منها : الوصية والأمر والوفاء والحفـاظ والتقدم إلى الأمر فى الشئ واليمن يحلف بها الرجل والميثـاق والإلّ والذمـة والعقد والأمان ورعاية الحرمة والبلاء وأول المطـر والمطـر بعـد المطـر والإمامة والتوحيد .

ويقال فى تجديد العهد : نظرية الوجه وتسلية القلب واكتحال العين وفـوج الهم وبلوغ المنى . ([3])

([1]) بلاغة الدعاء فى الحديث النبوى ٢٦٩ ، ٢٧٠ .

([2]) التعريفات للجرجانى تحقيق ابراهيم الابيارى ٢٠٤ دار الريان للحديث .

([3]) تاج العروس ماده عهد ، والألفاظ المختلفة فى المعانى المؤتلفة لابن مالك الطائى الجبيائى تحقيق د. نجاه حسن عبد الله نولى ١٢٣-١٢٤ ، ١١٠ جامعة أم القرى - مكة المكرمـة ط أولى ١٩٩١م والوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز للدافعانى تحقيق محمد حسـن أبو العز الزفيتى ٧٨/٢ ، ٧٩ ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

والعهد : الموعد وبه فسر مجاهد فى قوله تعالى ﴿فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي * قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا﴾ . (١)

ووعد الله تارة يكون بما ركزة فى عقولنا وتارة يكون بما أمرنا به بالكتاب وبسنة رسله وتارة بما نلتزمه وليس بلازم فى أصل الشرع كالنذور وما يجرى مجراها .(٢)

المراد بالعهد فى حديث " سيد الاستغفار "

العهد فى الحديث الشريف توحيد الله تعالى والمعنى : أنا مقيم على ما عاهدتك عليه من الإيمان بك والإقرار بوحدانيتك لا أزول عنه (٣)

وهو العهد الذى أخذه الله تعالى على عباده فى عالم الذر فى قوله تعالى ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ (٤)

الوعد :

وعده الأمر : مَنَّاه ووعد فلانا الشر هَدَّده وواعده على أن يوافيه فى وقت معين وفى موضع معين . والوعد يكون فى الخير والشر والوعيد فى الشر خاصة فإذا أسقط الخير والشر قيل : فى الخير وعد وفى الشر أوعد ، والوعد مصدر لا يجمع والمصادر لا تجمع إلا ما شذَّ ، ووَعَدَ يقتضى مفعولين أحدهما زمانا أو مكانا أو أمرا من الأمور .

---

(١) طه ٨٦ ، ٨٧ وانظر تاج العروس مادة عهد .

(٢)المفردات ٣٥٠.

(٣) تاج العروس مادة عهد . فتح البارى ١١٦/٢٣ ، ١١٧ وعمدة القارئ ٢٧٨/٢٢.

(٤) سورة الأعراف الآية ١٧٢ .

وَوَعَدَ الله المؤمنين العاملين الصالحات الحسنى وجنات عدن واستخلافهم فى الأرض ومغانم كثيرة وَوَعْدُ الله حق وصدق ومفعول ومسئول وحسن ﴿ فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ﴾ . (١)

المراد بالوعد فى الحديث والفرق بينه وبين العهد :

قيل : المراد بالوعد فى دعاء " سيد الاستغفار " ما قال على لسان نبيه – ﷺ – : " إن من مات لايشرك بالله شيئا وأدى ما افترض عليه أن يدخله الجنة " قال ابن حجر " وقوله " ما افترض عليه " زيادة ليست بشرط فى هذا المقام لأنه جعل المراد بالعهد الميثاق المأخوذ فى عالم الذر وهو التوحيد خاصة ، فالوعد هو إدخال من مات على ذلك الجنة " . (٢)

وعلية فالمعنى : أنا مقيم على ما عاهدت إلى من أمرك ومتمسك به ومنتجز وعدك فى المثوبة والأجر وبذا يكون العهد والوعد متغايرين وقدم العهد على الوعد إشارة الى أن تحقيق وعد الله بالجنة لا ينال إلا بعد أداء التكاليف والفرائض .

أو المعنى كما قال الخطابى : يريد أنا ماعاهدتك عليه وواعدتك من الإيمان بك وإخلاص الطاعة لك ما استطعت من ذلك . (٣)

وعلى هذا يكون العهد والوعد مترادفين إلا أن بينهما فرقاً دقيقاً كما يقرر أبو هلال العسكرى فى فروقة اللغوية .

" الفرق بين الوعد والعهد أن العهد ما كان مقرونا بشرط نحو قولك : إن فعلت كذا فعلت كذا وما دمت على ذلك فأنا عليه قال الله تعالى : ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا

---

(١) سورة إبراهيم الآية ٤٧

(٢) فتح البارى ١١٦/٢٣، ١١٧.

(٣) المرجع السابق نفسه .

إِلَى آدَمَ﴾ (١) أى أعلمناه أنك لا تخرج من الجنـــة ما لم تأكل من هــذه الشجرة والعهد يقتضى الوفاء والوعد يقتضى الإنجاز ويقـــال نقــض العــهد وأخلــف الوعد .(٢)

وفى الجمع بينهما على هذا المعنى تأكيد على وفاء الداعى بـــــ " ســيد الاستغفار " المطلق لله فى كل ما أخذه على العبد سواء أكان مشـــروط بشــرط وهو العهد) أم لا (وهو الوعد) .

ولما كان العهد أشد وثاقة وتأكيدا من الوعد أطلق العهد على الوعد فـــى بعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية للإشارة الى أن المواعيد المرادة فـــى هذه النصوص من المواعيد التى لا يتطرق إليها الخلف كالمواثيق مبالغة وزيادة تأكيد واعتناء بشأنها .(٣)

وللترادف فى الدعاء النبوى صور أربع :

الصورة الأولى : أن يعطف أحد المترادفين على صاحبه بالواو ويمثـــل هــذه الصورة " وأنا على عهدك ووعدك " على نحو ما سبق .

الصورة الثانية : أن يذكر أحد المترادفين فى جملة وصاحبه فى جملة أخرى.

الصورة الثالثة : أن يكون العطف بين ثلاثة مترادفات .

الصورة الرابعة : تكرار الترادف .(٤)

وظاهرة الترادف فى الدعاء النبوى تناسب مقام الداعى " حيث " يســتفرغ المؤمن طاقته ويستجمع كل ما أوتى من براعة اللفظ ليحيط بما فى نفســه مــن

---

(١) سورة طه الآية ١١٥.

(٢) الفروق اللغوية لأبى هلال العسكرى ٤٣ دار الكتب العلمية بيروت

(٣) بلاغة الدعاء فى الحديث النبوى ٣٧ ، ٣٨ .

(٤) أنظر تفصيل ذلك المرجع السابق ٣٧-٤٢ .

المعانى فتكثر المترادفات لتستوعب تدفق المعانى المتشابهة وتحيط بـــها وهــذا دليل على المبالغة فى الاستقصاء وقوة الاحتشاد للدعاء .([1])

ما استطعت :

" ما " مصدرية زمانية لأنها تؤول مع ما بعدها بمصدر مع نيابتها مـــع صلتها على الزمان . ([2])

والمعنى " مدة دوام استطاعتى " ([3]) والراجح والـــذى عليــه جمــهور النحويين أنها حرف ويدل على ذلك أنها تؤول مع ما بعدها بمصدر وليس لنـــا اسم مؤول مع ما يليه بمصدر . ([4])

والاستطاعة : فى اللغة عبارة عن عرض يخلقه الله تعالى فى الحيـــوان يفعل أو يُفْعَل به الاختيارية ، وعند المتكلمين عبارة عــن صفــة يتمكــن بــها الحيوان من الفعل والترك والاستطاعة الحقيقية هى القدرة التامة التـــى يجــب عندها صدور الفعل فهى لا تكون إلا مقارنة للفعل ، والاستطاعة الصحيحة هى أن ترتفع الموانع من المرض وغيره . ([5])

وذكر أبو هلال العسكرى أن الاستطاعة تكون بمعنى انقيـــاد الجــوارح لصاحبها وتكون بمعنى الإجابة كما فى قوله تعالى ﴿ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّـــكَ﴾ ([6]) أى هل يجيبك الى ما تسأله ؟ ([7])

([1]) المرجع السابق نفسه . ٤٢.

([2]) حديث "ما" أقسامها وأحكامها د. محمد بن عبد الرحمن المقدى ١٠٠-١٠٣ النادى الأدبى بالرياض ١٩٨٠م.

(٣) فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوى ١١٩/٤ دار إحياء السنة المحمدية عن طبعة ١٩٣٨م

([4]) أنظر تفصيل الخلاف فى ذلك حديث ما ١٠٣-١٠٧ .

([5]) التعريفات للجرجانى ٣٥ .

([6]) سورة المائدة الآية رقم ١١٢ .

([7]) الفروق اللغوية ٨٩.

وقول الداعى " ما استطعت " يعد صورة من صور الإطنـــاب ألا وهـــى الاحتراس ، والاحتراس فى اصطلاح البلاغيين " أن يؤتى فـــى كـــلام يوهـــم خلاف المقصود بما يدفعه " . ([1])

فقوله ﷺ " ما استطعت " إعلام الأمته أن أحداً لا يقدر علـــى الإيتـــان بجميع ما يجب عليه لله ولا الوفاء بكمال الطاعات والشكر على النعـــم فرفـــق الله بعبادة فلم يكلفهم من ذلك إلا وسعهم " ([2]) فالمصدر المـــؤول النـــائب مـــع صلته عن الزمان احتراس لطيف يدفع ما قد يوهمه قونه : " وأنا على عـــهدك ووعدك " من أن الداعى قادر على الوفاء بحقوق الله تعالى على وجه الكمـــال وشرط الاستطاعة فى ذلك الاعتراف بالعجز والقصور عن كنه الواجـــب مـــن حقه تعالى . ([3])

الدعاء الأول :

الجملة السادسة " أعوذ بك من شر ما صنعت " .

فصلت هذه الجملة عما قبلها لأنها إنشائية معنى وإن كانت خبرية لفظـــا فهى لإنشاء الدعاء وما قبلها جمل خبرية .

أعوذ :

العوذ : الالتجاء الى الغير والتعلق به يقال : أعاذ فـــلان بفـــلان ومنـــه وأعذته بالله أعيذه التجئ إليه وأستنصر به أن أفعل ذلـــك فـــإن ذلـــك ســـوء نتحاشى من تعاطيه فالعوذ : اللجأ إلى الشىء يقى من يلجـــأ إليـــه مـــا يخافـــه واستعاذ إذا سأل غيره أن يعيذه .([4])

([1]) شروح التلخيص ٣/٢٣١ .

([2]) فتح البارى ٢٣/١١٧ .

([3]) عمدى القارئ ٢٢/٢٧٨.

([4]) تاج العروس مادة عوذ والمفردات ٣٥٢.

وصيغة الاستعاذة قبل القراءة على المختار لجميع القـــراء مـــن حيـــث الرواية " أعوذ بالله من الشيطان الرجيم " (١) والمختار أن يلتزم الداعى بلفـــظ" أعوذ" لأنه هو الذى أمر الله به نبيه وعلمه إياه فقال تعالى ﴿ قُلْ أَعُـــوذُ بِـــرَبِّ الْفَلَقِ﴾(الفلق١) وقال تعالى : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّـــاسِ﴾(الناس١) وقـــال تعـــالى : ﴿ وَقُـــلْ رَبِّ أَعُـــوذُ بِـــكَ مِـــنْ هَمَـــزَاتِ الشَّـــيَاطِينِ •وَأَعُـــوذُ بِـــكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِي﴾(المؤمنون ٩٧،٩٨) وقال تعالى عن موسى عليه السلام : ﴿أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنْ الْجَاهِلِينَ﴾(البقرة ٦٧) وقال تعالى : ﴿ وَإِنِّي عُـــذْتُ بِرَبِّـــي وَرَبِّكُـــمْ أَنْ تَرْجُمُونِي﴾(الدخان٢٠) وقال تعالى عن نوح عليه السلام ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِـــكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ﴾(هود٤٧) وقال تعالى عن السيدة مريم : ﴿إِنِّي أَعُـــوذُ بِالرَّحْمَانِ مِنْكَ إِنْ كُنتَ تَقِيًّا﴾(مريم ١٨) وقال تعـــالى عـــن امـــرأة عمـــران : ﴿ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنْ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾(آل عمران ٣٦).

وكذلك الحال فى الأدعية النبوية أن الذى تواتر عن النبى - ﷺ - فـــى التعوذ للقراءة ولسائر تعوذاته من روايات لا تحصى كثرة هو لفـــظ " أعـــوذ " وأن الصحابة " لم يقولوا فى شىء من جوابه ــ ﷺ ــ : " نتعوذ بـــالله " ولا : " تعوذنا " على طبق اللفظ الذى أمروا به كما أنه ﷺ لم يقل " أستعيذ بـــالله " ولا " استعذت " على طبق اللفظ الذى أمره الله به ، ولا كـــان ــ ﷺ ــ وأصحابـــه يعدلون عن اللفظ المطابق الأول (٢) إلى غيره بل كانوا هـــم أولـــى بالاتبـــاع وأقرب الى الصواب وأعرف بمراد الله تعالى . كيف وقد علمنا رســـول الله - ﷺ - كيف يستعاذ فقال : " إذا تشهد أحكم فليستعذ بالله من أربع يقول : اللـــهم

---

(١) النشر فى القراءات العشر لابن الجزرى تحقيق د٠ محمد سالم محيســـن ٣٣٨/١ مكتبـــة القاهرة .

(٢) أى " أعوذ " .

إنى أعوذ بك من عذاب جهنم ومن عذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات ومن شر فتنة المسيخ الدجال " رواه مسلم وغيره ولا أصرح من ذلك " . ([1])

وبيان الحكمة التى لأجلها لم تدخل السين والتاء فى فعل المستعيذ الماضى والمضارع فقد قيل له استعذ بل لا يقال إلا : أعوذ دون أستعيذ وأتعوذ واستعذت وتعوذت ، وذلك لأن السين والتاء شأنهما الدلالة على الطلب فوردتا فى الأمر إيذانا بطلب التعوذ فمعنى : استعذت بالله أطلب منه أن يعيذك فامتثال الأمر هو أن يقول : أعوذ بالله لأن قائله متعوذ أو مستعيذ قد عاذ والتجأ ، والقائل : أستعيذ بالله ليس بعائذ إنما هو طالب العياذ به ، كما تقول : أستخير الله أى أطلب خيرته ، وأستقيله أى أطلب إقالته ، واستغفره أى أطلب مغفرته فدخلت فى فعل الأمر إيذانا بطلب هذا المعنى من المعاذ به فإذا قال المأمور : أعوذ بالله فقد امتثل ما طلب منه نفس الاعتصام والالتجاء وفرق بين الاعتصام وبين طلب ذلك فلما كان المستعيذ هاربا ملتجئا معتصما بالله أتى بالفعل الدال على طلب ذلك فتأمله .

قال : والحكمة التى لأجلها امتثل المستغفر الأمر بقوله : أستغفر الله أنه طلب منه أن بطلب المغفرة التى لا تتأتى إلا منه بخلاف العياذ واللجأ والاعتصام فامتثل الأمر بقوله : أستغفر الله أى أطلب منه أن يغفر ([2]) والإنشاء بأسلوب الخبر له أغراض تبرز ما فى نفس الداعى من معانى الأمل والرجاء والرغبة فى تحقيق المطلوب وهى التفاؤل وإظهار حرص الداعى

([1]) النشر ١/٣٤٣ ، ٣٤٤ وانظر نماذج كثيرة له بلاغة الدعاء فى الحديث النبوى ٤٦٣/٤٦٤ .

([2]) النشر ١/٣٤١، ٣٤٢ نقلا عن ابن النقاش فى كتابه اللاحق السابق والناطق الصادق فى التفسير " .

على قبول دعائه والاحتراز عن صورة الأمر وحمل المخاطب على المطلـــوب إذا كان الأسلوب بصيغة الماضى .

يقول الخطيب : الخبر قد يقع موقع الإنشـــاء إمـــا التفـــاؤل أو لإظـــهار الحرص على وقوعه أو للاحتراز عن صورة الأمر كقول العبـــد للمولـــى إذا حول عنه وجهه : ينظر المولى إلى ساعة أو لحمل المخاطب على المطلـــوب بأن يكون المخاطب ممن لا يجب أن يكذب الطالب أو لنحو ذلك . ([1])

والدعاء إذا كان بلفظ الفعل المضارع نحو " أعوذ " فهو من قبيل الكنايـــة باعتبار أن حصول الفعل فى الاستقبال لازم لطلب الفعل فى الحال فذكر الـــلازم وأريد الملزوم .([2])

والتعبير بالفعل المضارع فوق ذلك يدل على التعوذ متكرر من الداعـــى متجدد فى كل وقت ومكان شأن الفعل المضارع ، والداعى بذلـــك يكـــون قـــد استجاب للأمر الإلهى بالاستعاذة فى القرآن الكريم . ([3])

ولذا كثر فى الدعاء النبوى تصوير اللهفة الظامئة إلى القبول والانفعـــال البالغ فى الدعاء . ([4])

وفى اختيار " أعوذ " دون ألتجئ أو أعتصم مثلا فيـــه إعـــلان للتوحيـــد التام وتبرئة مما كان يفعله أهل الجاهلية من مظاهر الشرك من أنهم كـــانوا إذا نزلت رفقة منهم فى واد قالت : نعوذ بعزيز هـــذا الـــواد مـــن مـــردة الجـــن

([1]) انظر تفصيل ذلك شروح التلخيص ٢/٣٣٨-٣٤٠ وبلاغة الدعاء فى الحديـــث النبـــوى ١٩٩-٢٠٢.

([2]) بلاغة الدعاء فى الحديث النبوى ٢٠١ ، ٢٠٢ وشرح التلخيص ٢/٣٤٠ .

([3]) الأعراف ٢٠٠ والنحل ٩٨ وغافر ٥٦ وفصلت ٣٦ .

([4]) بلاغة الدعاء فى الحديث النبوى ٩٥.

وسفهائهم ، ومن تعوذ رجال من الإنس برجال من الجن .([1]) وإعلانا للـــبراءة مما يفعله بعض الناس من التعاويذ أو المَعَاذَات أو التعوذ وهى الرقى أو التمـائم التى تكتب وتعلق على الإنسان من العين أو الفزع أو الجنون ([2]) فى أوهامهم .

وبهذه الاستعاذة يعترف الداعى العبدُ بِعَجْزِ نَفْسِهِ وبقدرة ربه ويَدَلَّل على أنه لا وسيلة الى القرب من حضـــرة الله القـــوى القـــهار إلا بـــالعجز والـــذل والانكسار .

من شر :

التعبير بلفظ " شر " تلقى بظلالها على السياق فالشر نقيض الخير والسوء والفساد والظلم والحمى وإبليس والمكروه والعيب والمعاداة ، والشر ما يرغـــب عنه الكل كما أن الخير الذى يرغب فيه الكل . والداعى بـــ " سيد الاســـتغفار " يدرك جيداً ما يوصى به الحديث الشريف : " الخير كله بيديـــك والشـــر ليـــس إليك " من أن الشر لايتقرب به إليه تعالى ولا يبتغى به وجهـــة وإنمـــا يرفـــع الطيب من القول والعمل وأنه يجب استعمال الأدب فى الثناء على الله تعـــالى وأن تضاف إليه محاسن الأشياء دون مساوئها .([3])

ما صنعت :

" ما " اسم موصول مشترك أى يستعمل بلفظ واحـــد للمذكـــر والمؤنـــث مفردين ومثنيين ومجموعين وتسمى ناقصة لأنها تفتقر فـــى تمامـــها وظـــهور معناها إلى الصلة فلولا الصلة لكان الموصول ناقص المعنى مبهم الحقيقة .

([1]) الجن :٦ .

([2]) لسان العرب لابن منظور مادة " عوذ " طبعة دار المعارف .

([3]) لسن العرب مادة شرر والمفردات ٢٥٧.

والأصل أن يراعى فيها اللفظ إلا إذا اقتضى المقام مراعاة المعنى وشرط جملة الصلة أن تكون معهودة للمخاطب خبرية .

والعائد محذوف والتقدير ما صنعته " وحذف لأنه لم يترتب على حذفه إيهام أن الصلة خالية من العائد ، وهنا المنصوب لأنه ضمير متصل منصوب بالفعل صنع وحذف العائد منصوب الفعل أكثر من حذف منصوب الوصف ([1]) وكثر حذفه فى الدعاء النبوى لتوافق النغم وتجانس مقاطع الكلام مما يوسع المعنى ويوضحه ويتم التفاعل بين العناصر الإيقاعية والمعنوية .([2])

وعبر بالموصول المشترك "ما" لما فيها من العموم وتوغلها فى الإبهام الذى يتناسب مع مقام الدعاء فيشمل كل ما صنعه العبد فيفيد العياذ من شر كل ما يصدق عليه فعل الصنع وفى ذلك مبالغة فى الدعاء وقوة الرجاء فى تحقيق الدعاء . ([3])

صنع الصنيع : إجادة العمل فكل صنع فعل وليس كل فعل صنعا ولا ينسب إلى الحيوانات والجمادات كما ينسب إليها الفعل ، وللإجادة يقال للصانع الحاذق المجيد صَنَعٌ وللحاذقة المجيدة صناع ، والصنيعة : ما اصطنعته من خير ، وفرس صنيع : أحسن القيام عليه وعبر عن الحصون والأماكن الشريفة وأحواض المياه بالمصانع ، والاصطناع : المبالغة فى إصلاح الشىء ، والصنيع الطعام يصنع فيدعى إليه والإحسان والمعروف .([4])

([1]) حديث " ما " ٣٩-٥١.

([2]) بلاغة الدعاء فى الحديث النبوى ٧٤.

([3]) المرجع السابق ١١٩ وبدائع الفوائد لابن القيم ١٣١/١ مكتبة ابن تيمية بالقاهرة ومكتبة العلم بجدة .

([4]) تاج العروس مادة صنع والمفردات ٢٨٦-٢٨٧ .

مع ملاحظة أن العمل يدل على اتصال الحدث وامتداد الزمن مع هـــدف العامل وقصده ويدل على الدأب والمثابرة ، والفعل : ظـــهور الأثـــر وســـرعة الحدث والفعل وحدة فى العمل والزمن . والعمل والفعل كنايتان عـــن صـــدور حدث من محدث . ([1])

وبتأمل ذلك نجد أن الصنع أخص من العمل والفعل ، لأن مادة صنع تدل على التفنن والحبك لأن الصنع يقتضى خبرة سابقة على العمل وفى التعبير بـــه إشارة الى أن التعوذ من شر ما صنع الداعى يلزم التعوذ مما دونه من الأعمـــال والأفعال .

وفيه إشارة إلى أن صنيع السوء من صفات النصارى ﴿وَسَوْفَ يُنَبِّئُـــهُمْ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ (المائدة١٤) واليهود قـــال تعـــالى ﴿لَبِئْـــسَ مَـــا كَـــانُوا يَصْنَعُونَ﴾(المائدة ٦٣) .

وأن صنيع السوء عقابه التدمير قال تعالى ﴿ وَدَمَّرْنَا مَـــا كَـــانَ يَصْنَـــعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ (الأعراف ١٣٧) والإحباط قال تعالى ﴿ وَحَبِـــطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا﴾ (هود١٦) والقارعة قال تعالى ﴿ ولا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُـــهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ﴾(الرعد ٣١)والجوع والخوف قال تعالى ﴿ فَكَفَرَتْ بِـــأَنْعُمِ اللَّـــهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾(النحل ١١٢).

وفيه تبرئة من الأخسرين أعمالاً ﴿ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَـــاةِ الدُّنْيَـــا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾(الكهف ١٠٤).

وفى تعوذ الداعى من شر ما صنع إيحـــاء بأنـــه يـــأمل أن يتـــولاه الله ويحيطه بالرعاية كالتى حدثت لسيدنا موسى فى قوله تعالى : ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَـــى

([1]) أسرار الترادف فى القرآن الكريم على اليمنى دردير ١٣٤-١٣٦.

عَيْنِي﴾ (طه٣٩) وفى قوله تعالى ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾(طه٤١) ويطمع فيما قاله بعض الحكماء : " إن الله إذا أحب عبدا تفقده كما يتفقد الصديق صديقه .

بين يدى الدعاء الثانى

الجملتان السابعة والثامنة : أبو لك بنعمتك على وأبوء بذنبى

فصلت جملة " أبو لك بنعمتك على " عن التى قبلها " لأنها رأس معنى جديد يقوم على اعتراف الداعى بنعم الله عليه وهو مع هذا متصل بالمعنى السابق ، لأن الداعى لما طلب اللواذ بربة والاعتصام به من شر ما صنع ذكر أن هذا الشر الذى صنعه إنما هو قصور من نفسه لا من ربه لأن نعم الله عليه كثيرة فقال : " أبو لك بنعمتك على " ثم قال " " وأبوء بذنبى " فرجع مرة ثانية الى الاعتراف بالذنب زيادة فى التذلل وهضم النفس وكأنه لإسرافه على نفسه أحاط نعمة الله بالشرور والذنوب من كل جانب فلم يقدرها حق قدرها ولهذا وسط قوله : " أبو لك بنعمتك على " بين شر ما صنع وبين الذنب فى جملتى : " أعوذ بك من شر ما صنعت " و " أبوء بذنبى " .

ووصلت جملة :" وأبوء بذنبى " بالتى قبلها للمناسبة بينهما لأنهما معا تشتركان فى معنى الاعتراف والإقرار بالنعمة والذنب فهما اعترافان متتابعان متصلان "(١)

أبوء :

أصل البواء : مساواة الأجزاء فى المكان خلاف النبوة الذى هو منافاة الأجزاء ، وبوأت له مكانا : سويته ، وأبأت القوم منزلا وبوأتهم منزلا إذا نزلت بهم الى سند جبل أو قبل نهر والمباءة : المنزل ومنه مباءة الغنم ، وبوأه الله منزلا : أسكنه إياه ، والبواء : اللزوم .

---

(١) بلاغة الدعاء فى الحديث النبوى ٢٧٠ ونقلت الكلام بنصيه حبا ووفاء لأخى المؤلف .

فالمادة تدر حول الالتزام والرجـــوع والإقــرار واللــزوم والاعــتراف والمساواة والتعادل والتكافؤ . ([1])

وباء جاء فى القرآن على أربعة أوجه : استوجبوا ، وينزل ، وتُوُظَّــن ، وترجع ([2]) وقيل : معناه أجمله برغمى لا أستطيع صرفه عنى .([3])

واختير " أبوء " على غيرها من هذه الألفاظ للآتى :

أولاً : فى النعمة للدلالة على أن نعم الله كثيرة قد أحاطت بالعبد حتـــى شــملت المكان المهيأ فتمكنت منه ولازمته ويدل على ذلك قوله : " عَلَــيَّ " التــى تدل على الاستعلاء والتمكن .

ثانياً : فى الذنب للدلالة على أن الذنب قد كثر مع كــثرة النعــم حتــى صــار المذنب مأوى للذنب ، وهذا غاية فى التذلل وإبراز ضعف الإنسان الــذى كان يجب أن يشكر على نعم ربه لا أن يعصى ويذنب .

لك بنعمتك :

" لك .. بنعمتك " بضمير الخطاب الــذى يفيــد الحضــور الوجدانــى والمشاهدة القلبية والأنس بربنا وولى، نعمنا وفى ذلك الأمل والرجاء فى عفــو الغفور الرحيم .

النعمة : مادة نعم ومشتقَّاتها وردت فى القرآن الكريم ١٤٤ مرة ولفظ نعمة ورد ٣٤ مرة .

والنعمة : الحالة الحسنة بناء الحالة التى يكون عليها الإنسان مشتقة من النعيــم وهو راحة العيش وملائم الإنسان والترفه واليــد البيضــاء الصالحــة

([1]) تاج العروس مادة بوأ والنهاية لابن الأثير ١٥٩/١ ، ١٦٠ والفائق للذمخشرى ١٣٣/١.

([2]) الوجه والنظائر ٢٦١/١.

([3]) فتح البارى ١١٧/٢٣.

والصنيعة والمَنَّةَ والجمع نِعَم وأَنْعُمَ ونِعمات والفعل نَعِمَ يَنْعُم فالنِّعمةُ ذلك الشيء المتنعم به فى حد ذاته وهى للجنس .

ونعمة الله : منه وما أعطاه الله تعالى العبد مما لايمكن غيره أن يعطيه إياه كالسمع والبصر .

ومتعلق النعمة : الذات الحسية ثم استعملت فى اللذات المعنوية العائدة بالنفع ولو لم يحس بها صاحبها والمنفعة الحسنة المفعولة على وجه الإحسان إلى الغير ونفع الإنسان مَنْ دُونَهُ لغير عوض ، والخفض والدعة والمال ضد البأساء والبؤس .

والإنعام : إيصال ذلك الشيء المنعم به إلى المنعم عليه وخص بالعقلاء .

والتنعم : الانتفاع بالنعمة والتلذذ بها والترفه والنعيم .

والنعيم : النعمة الكثيرة .(١)

أنواع النِّعم :

النعم كلها من الله تعالى فكل ما يصل الى الخلق من النفع ودفع الضر فهو من الله تعالى وهى على أنواع :

النوع الأول : تفرد الله بإيجاده كالخلق والرزق والموت .

النوع الثانى : نعم وصلت من جهة غير الله تعالى فى ظاهر الأمر وفى الحقيقة فإنما هى وصلت من الله تعالى لأنه تعالى الخالق لتلك النعمة والخالق لذلك المنعم والخالق لداعية الإنعام . فإنعام الخلق لا يتم إلا بإنعام الله .

---

(١) تاج العروس ولسان العرب مادة نعم والمفردات ٤٩٩-٥٠٠.

النوع الثالث : نِعَمُ وصلت إلينا بسبب الطاعات فهى من الله حقيقة لأنه تعالى وفق للطاعات وأعان وأزاح الأعذار عنا .([1])

فعند التأمل جميع النعم فى الحقيقة من الله تعالى ﴿ وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾(النحل ٥٣) .

أصل نِعم الله تعالى على العبيد :

أصل نعم الله تعالى على العبيد أن خلقهم أحياء فالحياة أصل جميع النعم ونعم الله تعالى مع استحالة حصرها تنحصر أصولها فى نعم دنيوية ونعم أخروية .

فالنِّعم الأخروية مغفرة الله ورضاه وجنته والمراد ما يكون وصلة إلى نيله فى الآخرة فإن ما عدا ذلك يشترك فيه المؤمن والكافر .([2])

مدى إحساس المؤمن بنِعَم الله تعالى عليه :

مما يسخط الناس على أنفسهم وعلى حياتهم ويحرمهم لذة الرضا أنهم قليلوا الإحساس بالنِّعم لأنها فقدت قيمتها بإلفها أو بسهولة الحصول عليها .

والمؤمن يكون عميق الإحساس بنعم الله تعالى عليه تحيط به ويرى آثار رحمة الله ونعمته فى كل شىء حوله ، ونعمة الله فى شخصه فهى أعظمها فقد منحه الله تعالى الخلق والإنسانية والإدراك والعلم والبيان النطقى والخطى والرزق والإيمان والهداية .

([1]) التفسير الكبير ١/٢٦٢.

([2]) تفسير البيضاوى ١/١١ .

سر كثرة إضافة النعمة إلى لفظ الجلالة " الله " و " الرب " :

لهذه الإضافة أسرار منها :

١-إبراز محبة العبد لخالقه ، إذ النفس مجبولة على حب مـــن يحســـن إليـــها وينعم عليها .

٢-إقرار المنعم عليه بأن النعمة من الله تعالى .

٣-على المنعم عليه يجب أن يشكر الله تعالى واهب النِّعم .

٤-تذكير بعدم بطر من أنعم الله تعالى عليه لأن البطر يسلب النعمة .

٥-أن يعلم المنعم عليه أن الأيام مداولة بين الناس فكما أنعم الله عليـــه قـــادر على أن ينعم على غيره ويسلب منه تلك النعمة التى أولاها أياه .

٦-هذه الإضافة تكسو النعمة ثوبا من التعظيم مما يجعل تذكر واحدة منها كافيا فى سجود العبد لربة شكراً عليها فكيف بتذكر نعمه كلها أو بعضـــها كمـــا تومئ إلى أن الإنسان مهما أطاع ربه لا يستطيع أن يؤدى شكر نعمة واحدة.

التحدث بالنعمة :

ليس التحدث بنعم الله مقصورا على القول وحديث اللسان بل هو شـــامل للقول والفعل والحركة والسلوك ، فالنِّعْمَةُ اسم هيئة وهذا يوحى بأن تكون هيئـــة الإنسان المسلم مظهرا من مظاهر نعمة الله تعالى عليه ومصداقا لـــهذه النعمـــة وترجمة عملية لها ، ومن التحدث بنعمة الله تعالى الشكر عليها بالقول والفعـــل واستخدامها فى طاعة الله تعالى .([1])

([1]) ينظر مقال " النعمة استقاقاتها - أنواعها فى السياق القرآنى دراسة بيانيـــة تحليليـــة " د. محب جلال عبد الفراج ، مجلة كلية أصول الدين والدعوة بـــالمنصورة ١/٣٧٧ -٤٦٥ عدد ٩ سنة ٢٠٠٣م.

بذنبى :

الذَّنْبُ : فى الأصل الأخذ بِذَنَب الشىء ، ذنبته : أصبت ذنبه ، ويستعمل فى كل فعل يُستَوْخَمُ عقباه اعتبارا بِذَنَبِ الشىء ولهذا يسمى الذَّنْبُ تبعة اعتبار لما يحصل من عاقبته فالذَّنْبُ : الإثم والجرم والمعصية ونظرا إلى أنه مأخوذ من الذَّنَب وهو الذيل صار يطلق على الشىء الدنىء الخسيس الرَّذْل يقال : ذَنَبُ الرجل وأذناب الناس : أتباعهم وسفلتهم دون الرؤساء وجاء فلان بِذَنَبِهِ أى بأتباعه (١) والمراد بالذنب فى الحديث التقصير عن أداء شكر النعم أو الذنب مطلقا وإضافة الذنب إلى ضمير الداعى مع ما فى الذنب من معانى الخسة والدناءه " والرزاله " مبالغة فى استجلاب العفو وإقرار بأن العبد لايقدر أن يخلص نفسه من قذاره الذنب إلا بعفو الله ومغفرته ، وأفرد الذنب تعظيما لخطر الذنب وأن الذنب الواحد محتاج إلى طلب مغفرة فكيف بالذنوب الكثيرة .(٢)

وفى قول الداعى بـ " سيد الاستغفار " وأبو بذنبى " من الاعتراف بالذنب والإقرار به ما يأمل أن يكون مثل جماعة الأعرب الذين تخلفوا عن غزوة تبوك ثم اعترفوا بذنبهم فقبل الله عذرهم قال تعالى : ﴿ وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (التوبة ١٠٢) .

و"عسى" فعل رجاء كناية عن وقوع المرجو ، وأن الله قد تاب عليهم فـ" عسى" للإطماع وهو من أكرم الأكرمين إيجاب وأى إيجاب والاعتراف دال على التوبة لما بينهما من اللزوم عرفا قال مطرف : وأرجو أن أكون أنا وأنتم

---

(١) تاج العروس ولسان العرب ماده ذنب والمفردات ١٨١ .

(٢) بلاغة الدعاء فى الحديث النبوى ٣٢.

يا إخوتاه منهم ، وقيل : ما فى القرآن آية أرجى عندى لهذه الأمـــة مـــن هـــذه الآية .([1])

وكمـــا جـــاء صريحا فى حديث الإفـــك أن العبـــد إذا اعـــترف بذنبـــه غفر له . ([2])

ففائدة الإقرار بالذنب أن الاعتراف يمحق الاقتراف كما قيل :

فإن اعتراف المرء يمحو اقترافه ∴ كما أن إنكار الذنوب ذنوب ([3])

فرق فى نظم الجملتين " وأبو لك بنعمتك على وأبو بذنبى " :

ذكر فى الجملة الأولى " لك "ولم يذكر فى الجملة الثانية لأسباب :

السبب الأول : ذكر " لك " فى الاعتراف بنعمة الله وترك فى الاعـــتراف بالذنب مراعاة للأدب حيث ينسب إلى الله تعالى الخير وينســـــب إلـــى العبـــد الشر والسوء .

السبب الثانى : وفيه إشارة إلى أن نعمة الله مفرد مضـــاف مـــن صيـــغ العموم تفيد أنها لا تحصر ولا تحصى وفيها تلميح إلى قوله تعالى :﴿ وَآتَـــاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَـــةَ اللَّـــهِ لا تُحْصُوهَـــا إِنَّ الإِنسَـــانَ لَظَلُـــومٌ كَفَّارٌ﴾(إبراهيم ٣٤)

وقوله تعالى ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾(النحل ١٨)

من حيث اعترف بنعمته تعالى ثم اعترف ثانيا بالتقصير فيأمل أن تحـــل به رحمة الله ومغفرته فى الدعاء الآتى "فاغفرلى .." ويتجاوز عن ظلمه وكفره.

([1]) التحرير والتنوير ١١/٢١-٢٢ وروح المعانى ١١/١١-١٣.

([2]) دليل الفالحين ٤/٧٣٧.

([3]) فيض القدير ٤/١١٩، ١٢٠.

السبب الثالث : فى تخصيص الاعتراف بالنعمة بأنه (لك) أى لله " مزيد اعتناء بهذا الاعتراف ، لأنه اعتراف خاص يغاير الاعتراف والتحدث بالنعمة إلى سائر الخلق هو اعتراف بالنعمة لصاحبها وواهبها للعبد وإذا أخفى العبد شيئا من معالمها على الناس فإنه لا يخفيه على الله وحذف الجار والمجرور فى الاعتراف الثانى " وأبو بذنبى " إشارة الى أن الأصل فى الذنب أن يكون مبنيا على الستر لا على الظهور وأن العبد لا يحدث به ولا يجاهر خوفا من الفضيحة وحرصا على عدم إشاعة الفحشاء وإبقاء لستر الله عليه ... وفيه أيضا استحياء من خطاب الله مع الذنب .([1])

الجملة التاسعة : الدعاء الثانى " فاغفر لى "

الفاء تحتمل ثلاثة أوجه :

الوجه الأول : الفاء رابطة لجواب شرط مقدر أى : إذا كان الأمر كذلك فاغفرلى .

الوجه الثانى : أن تكون الفاء للسببية المحضة والجملة لا محل لها من الإعراب مستأنفة مسببة عما قبلها .

الوجه الثالث : أن تكون عاطفة للسببية عند من يحيز عطف الإنشاء على الخبر والخبر على الإنشاء فتكون الجملة معطوفة على جملة الخبر قبلها " وأبوء بذنبى " .

والوجه الثالث : هو الراجح لأن الفاء تفيد كثيرا مع الترتيب والتعقيب التسبب أى الدلالة على السببية (بأن يكون المعطوف متسببا عن

([1]) بلاغة الدعاء فى الحديث النبوى ٢٧٠-٢٧١.

المعطوف عليه) ويغلب هذا فى شيئين عطـــف الجمـــل وفـــى المعطوف المشتق .. " (١)

فالعبد الداعى بـــ " سيد الاستغفار " قد أقر بنعـــم الله تعـــالى واعـــترف بالتقصير وارتكاب الذنب وذلك سبب فى أن يطلب العبد المغفرة من ربـــه لأن " المغفرة تنهية لغضب الله المترتب على الذنب فإذا انتهى الغضـــب تسـنى أن يخلفه الرضا والرضا يقتضى الإحسان (٢) والله تعـــالى خـــير الغـــافرين " لأن غيره يتجاوز عن الذنب طلبا للثناء أو الثواب أو دفعا للصفـــه الخسيســـة عـــن القلب وهى صفة الحقد ، والبارئ سبحانه وتعالى منزه عن أن يكـــون غفرانـــه لشىء من ذلك .(٣)

والفاء بما تحتمله من معنى الترتيب والتعقيب مع السببية دلـــت " علـــى سرعة المبادرة إلى طلب المغفرة وأن طلبها مرتب على الاعتراف بالذنب بدون مهلة أو تراخ وهذا دأب النفوس الذكية والقلوب الأوابة التى تبادر الى التوبـــة والاستغفار وبهذا وصف الله المتقين فى قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ .لذُّنُوبَ إِلا اللَّهُ وَلَـــمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾(آل عمران ١٣٥)(٤)

---

(١) النحو الوافى عباس حسن ٥٧٤/٣ دار المعارف ط ثامنة وشرح الكافية للرضـــى ٣٣٦/٢ والجدول فى إعراب القرآن وصرفه محمود صافى ١١٣/٢ مراجعة لينه الحمصـــى دار الرشيد دمشق بيروت ط أولى ١٩٨٦م فى إعراب قوله تعالى " أنت مولانا فانصرنا علـى القوم الكافرين " (البقرة ٢٨٦) الجدول ٨٩/٢ ، ٩٠.

(٢) التحرير والتنوير ١٢٧/٩ وفى تفسير قوله تعالى : أنت ولينا فاغفرلنا وارحمنا وانت خير الغافرين " (الأعراف ١٥٥)

(٣) البحر المحيط ٤٠١/٤.

(٤) بلاغة الدعاء فى الحديث النبوى ٢٧١.

الدعاء بلفظ الأمر :

الأمر : من أنواع الإنشاء الخمسة التى درسها البلاغيون وهو : طلب فعل غير كف على جهة الاستعلاء وصيغه أربع : المصدر النائب عن فعله والمضارع المقترن بلام الأمر وفعل الأمر واسم فعل الأمر ([1])

وقد يخرج الأمر عن معناه الأصلى من طلب فعل غير كف على جهة الاستعلاء إلى معان أخرى ترشد إليها القرائن والسياقات كالإباحة والتهديد والتسخير والتسوية والتمنى والدعاء والالتماس والاحتقار .([2])

وصيغة الأمر تفيد معنى الدعاء إذا استعملت فى طلب الفعل على سبيل التضرع أى التذلل والخضوع سواء كان الطالب أدنى كما هنا فى حديث سيد الاستغفار – أو أعلى أو مساويا فى الرتبة . ([3])

ودلالة صيغة الأمر على الدعاء " لا تندرج فى أى من طرق الدلالة المنضبطة – أعنى الحقيقة والمجاز والكفاية – وإنما يوحى بها السياق وقرائن الأحوال باعتبار ذلك كاف فى تفهم تلك المعانى بل هو مناط تولدها ومصدر استلهامها كما نص على ذلك العلماء دون حاجة إلى تكلف تقديرات لا تخطر على بال أى من المتكلم أو المخاطب " . ([4])

وبهذا نستطيع أن نرجح القول بأن خروج الأساليب الإنشائية عامة عن معانيها الحقيقية إلى معان جديدة من مستتبعات التراكيب ومنها دلالة الأمر على

([1]) انظر شرح ذلك شروح التلخيص ٣/٣٠٨-٣١٢.

([2]) انظر تفصيل ذلك : شروح التلخيص ٣/٣١٢-٣٢٣ .

([3]) انظر توجيه ذلك شروح التلخيص ٣/٣٢٠.

([4]) مستتبعات التراكيب بين البلاغة القديمة والنقد الحديث د . عبد الغنى بركة ٥٦ ، ٦٣-٦٦ ط أولى ١٩٨٩ ، دار الطباعة المحمدية .

الدعاء خروجاً من الخلاف الذى لم يحسم بعد فى اعتبار هذه الدلالة من المجاز أو الكناية .

والمراد بمستتبعات التراكيب كل معنى يفهم من الكلام عن طريق ما يوحى به السياق وتومئ إليه الألفاظ والصور من انطباعات وظلال . ([1])

ومن سمات الدعاء بصيغة الأمر المتحققة فى دعاء " سيد الاستغفار " أنه تقدمه أسلوب النداء بـ " اللهم " - كما سبق - لإظهار حاجة الداعى ورغبته إلى الله تعالى بنفس يقظة وذهن متنبه . ([2])

وأنه وقع بعده ما يحث عليه فى الجملة الأخيرة " فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت " وذلك لتأكيد الدعاء بطلب المغفرة والحث عليه والإلحاح فى طلبه . ([3])

حذف مفعول المغفرة :

يحذف مفعول المغفرة فى الأدعية النبوية بكثرة للعلم به : لأن الذهن ينصرف إليه مباشرة فى مقاماته الثلاثة :

١- فى مقام الدعاء للميت يحذف مفعول المغفرة إشارة إلى عموم المغفرة وشمولها للذنوب كلها لا فرق بين صغائرها وكبائرها فإذا وجدت المغفرة من الله شملت الجميع .

وإشارة - أيضاً - إلى تنزيل الفعل المتعدى منزلة اللازم لأن الفعل " اغفر " يتعدى إلى مفعول فصار فى الدعاء للميت كاللازم " لتتوفر العناية

([1]) المرجع السابق ٣٥ ، ٣٦ ، ٥٠ .

([2]) بلاغة الدعاء فى الحديث النبوى ١٨٨ .

([3]) بلاغة الدعاء فى الحديث النبوى ١٨٨ ، ١٨٩ .

على إثبات الفعل للفاعل وتخلص له وتتصرف بجملتها وكما هـــى إليــه " ([1]) فالغرض هنا تحقق طلب المغفرة من الله تعالى دون النظر إلى مفعول المغفــرة ما هو ؟ فإذا تحققت المغفرة غفر الله .

وفى حذف مفعول المغفرة فى مقام الدعاء للميت مبالغة فى صون حريــة الموتى وحفظها وعدم التلفظ بما فيه تسجيل عليهم بــالذنب والمعصيــة لأنــهم أفضوا إلى ما قدموا .

٢- فى جوامع الدعاء يكثر حذف مفعول المغفرة لأنها تقــوم علــى الإيجــاز الشديد والإشارة الهادية واختيار المعانى الشاملة التى تجمع أمــر الدنيــا والآخرة وعلى الصياغات الوجيزة التى يعتبر الحذف من أبــرع طرقــها ووسائلها ولهذا ناسبها حذف مفعول المغفرة .

٣- عند ضيق المقام يحذف مفعول المغفرة لضيق المقام عن الإطالة بذكــره كالدعاء النبوى وهو - ﷺ - على فراش الموت أو دعائه - ﷺ - بيــن السجدتين . ([2])

لماذا قدم الدعاء الأول على الدعاء الثانى ؟

قدم الدعاء الأول " أعوذ بك من شر ما صنعت " على الدعــاء الثــانى " فاغفر لى " لأن التعوذ تخلية من رذائل المعاصى وأوســاخ الذنــوب والدعــاء الثانى تحلية بتهيئة نفس الداعى لأن يكون أهلاً لرضوان الله تعــالى والتخليــة مقدمة على التحلية .

([1]) دلائل الإعجاز تعليق الشيخ محمود شاكر ١٥٦ .

([2]) انظر تفصيل ذلك بلاغة الدعاء فى الحديث النبوى ٧١-٧٣ .

الجملة العاشرة

تعليل الدعاء الثانى : " فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت "

" فإنـــه "

التعليل بالفاء والاستئناف بـــ " إنَّ " يأتيان فى مواضع الاحتجـــاج لمـــا قبلها والاستدلال على صحته .

والاستئناف بـــ " إنَّ " حين يكون الموقف موقف تردد وإنكار لإزالة هـذا التردد وإقناع المنكر " ولذلك ألفت " إنَّ " مواطن السؤال عن السبب الخاص لما يصاحبها من التردد والإنكار كما أنها تكثر عقب الأوامر والنواهى التى يحتـاج تنفيذها إلى كلفة ومشقة فكان ما فيها من مصارعة النفـــس ومغالبـــة الـــهوى والتثاقل فى أدائها بحاجة إلى ما فى حرف التوكيد من الإلهاب والتهيج " . (١)

" وأما التعليل بالفاء فإنه يخرج السبب مخرج الأمـــر الـــذى لا ينكـــره المخاطب ولا يتردد فيه حقيقة أو تنزيلا ويكون فى مقام التوبيخ والتهديد أشـــد لذعاً وأكثر إيجاعاً " . (٢)

ويحل كل منهما مقام الآخر فى الربط بين جملة التعليل بما قبلـــها إلا أن لكل منها مقامه فالفاء توحى بأسرار لا تفيدها " إنَّ " وكذلك " إن " لها أسرارها التى لا تفيدها الفاء . (٣) والضمير فى " فإنه " ضمير الشأن وقد صادف موقعه ففيه تفخيم لما يحققه من الإيضاح بعد الإبهام فالنفس عند الوقوف عند الضمـير

---

(١) من أسرار حروف العطف فى الذكر الحكيم " الفاء وثم " د. محمد الأمين الخضـوى ١١٣ مكتبة وهبة ط أولى ١٩٩٣ .

(٢) المرجع السابق نفسه ١١٤ .

(٣) المرجع السابق ١١٦ ، ١١٧ .

الذى لا عائد له تتشوق إلى معرفة إبهامه فيأتى ما بعده موضحاً فيتمكن المعنى فى الذهن ويستقر فى القلب . ([1])

وفى جملة التعليل " فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت " قد جمع بين الفاء و " إن " فالفاء : تشير إلى الاعتراف بربوبيته تعالى ووجدانيته وبأنه الخالق وبالإقرار بالوفاء المطلق على عهده تعالى ووعده وبالاعتراف بنعمه وأن هذه الأمور ثابتة مقررة فى ذهن الداعى ليس فيها شبهة تردد أو إنكار وفى ذلك إيحاء إلى النفس المطمئنة التى اطمأنت إلى ربها بعبوديتها له ومحبته والإنابة إليه والتوكل عليه والرضا به والسكون إليه . ([2])

و " إنَّ " تشير إلى شر الصنيع المستعاذ منه والاعترف بالذنب وكأنه بارتكابه هذين الجرمين نزل نفسه منزلة المتردد وأتى بـ " إنَّ " لتوحى بأن أمارات التردد والشك ينبغى أن تمحى من حياته وأن يطهرها دائماً من الرذائل.

وفيها دلالة على النفس اللوامة التى تلوم صاحبها على تقصيره فى طاعة الله مع بذله الجهد على النفس الأمارة التى تأمر بكل سوء وكأنه يشهر سلاح التوكيد لمواجهتها وإحباط دواعيها . ([3])

ومن المقرر لدى جمهور النحويين أن الجملة التعليلية نوع من الجمل الاستئنافية لأن الجمل الاستئنافية تأتى تفسير لما قبلها أو بياناً أو توكيداً أو حالاً أو وصفاً أو تعليلاً وهذه الجمل لا محل لها من الإعراب . ([4])

([1]) شروح التلخيص ١/٤٥٠-٤٥١ .

([2]) النفس فى القرآن د . أحمد عمر هاشم ٢٧-٢٩ دار الفيصل ١٩٩٦م .

([3]) النفس فى القرآن ٢٩ - ٣٦ .

([4]) انظر الجملة المستأنفة مغنى اللبيب لابن هشام مع حاشية الدسوقى ٢/٤١-٤٥ مطبعة المشهد الحسينى ١٣٨٦هـ .

وقد ذهب البعض إلى أن الجمل التى تأتى تعليلاً هى جملة تعليليـــة فـــى موضع نصب كالمفعول لأجله وتقدر اللام وتؤول بمصدر متعلق بما قبله تعلـــق المفردات فيكون لها موضع من الإعراب . (١)

وأوثر حرف النفى " لا " لأن " لا " هنا لنفى الحدث وتستعمل مع الفعـــل أكثر مما تستعمل مع الاسم لاسيما الفعل المضارع ولهذا فهى تدل على النفـــى على مطلق الزمن الماضى والحاضر والمستقبل فالفعل المضـــارع فيـــه مـــن الشمول والاتساع بحيث يشمل الأزمنة الثلاثة .. . و " لا " هذه ليس لها أثـــر من حيث الإعراب النحوى فيما بعدها . (٢)

و " أل " فى " الذنوب " إما للعهد الخـــارجى الصريحـــى حيـــث تقـــدم لمدخولها ذكر صريح فى الكلام فى قوله : " وأبوء بذنبى " ويكون الغرض مـــن الجمع المبالغة فى تصوير خطر ذنبه وكأنه ذنوب كثيرة أحاطت به لما يـــترتب عليه من آثار نفسية واجتماعية واقتصادية خطيرة تضر بصاحبه وبمن حوله .

وإما للاستغراق بأن يراد بمدخولها جميع الأفراد المندرجين تحت الحقيقة عند قيام القرينة الدالة على ذلك وسميت لام الاستغراق لاستيعاب جميع أفـــراد الحقيقة .

وهى هنا للاستغراق الحقيقة أى هى التى يشار بها للحقيقة فـــى ضمـــن جميع الأفراد التى يتناولها اللفظ بحسب وضعه بقرينة حالية كما هنا لاســـتحالة أن يوجد غير الله تعالى يغفر الذنوب أو قرينة لفظية . (٣)

---

(١) إعراب النص دراسة فى إعراب الجمل التى لا محل لها من الإعراب د. حســـنى عبـــد الجليل يوسف ٩٣-١٠٣ دار الآفاق العربية بالقاهرة ١٩٩٧م .

(٢) أساليب النفى فى القرآن " د. أحمد ماهر البقرى ٢٤-٢٩ دار المعارف ١٩٨٥م .

(٣) شروح التلخيص ٣٢٨/١ ، ٣٢٩ .

ويكون الغرض من الجمع تأكيد العموم والشمول فالذنوب " تشمل ذنوب جميع العباد فى الماضى والحاضر والمستقبل من عهد آدم إلى قيام الساعة ".

والخطاب " أنت " يدل على استمرار الحضـــور الوجدانـــى والمشـــاهدة القلبية تأكيداً على منزلة الإحسان مما يوجد فى نفس الداعى الأنـــس والقـــرب ويعمق الرجاء فى إجابة دعائه ويحقق الأمل فى غفران ذنبه .

بلاغة القصر فى حديث " سيد الاستغفار " :

من الظواهر الفنية فى الدعاء النبوى أننا نجد تتابع جمـــل القصـــر فـــى الدعاء الواحد قصدا إلى زيادة توكيد المعنى ودلالة على شدة الإلحاح فى الدعاء والرغبة فى القبول والإجابة . ([1])

وهذا ما تحقق فى دعاء " سيد الاستغفار " فقد جاء القصر فـــى أربعـــة مواضع بطريقين :

الطريق الأول : النفى والاستثناء فى قوله : " لا إله إلا أنـــت " وفـــى قولـــه : " لا يغفر الذنوب إلا أنت " .

الطريق الثانى : تعريف الطرفين فى قوله : " أنت ربى " وفى قولـــه : " وأنـــا عبدك " .

الطريق الأول : النفى والاستثناء

طريق النفى والاستثناء من أهم طرق القصر " فـــهو لا يتـــأتى إلا فـــى المعنى الذى يحتاج إلى فضل تقرير وتوكيد وفى المعانى الحاســـمة وأن هـــذا الطريق فيه من الاقتدار والحدة ما يجعلها قادرة على أن تحمل تلك المعانى التى

([1]) بلاغة الدعاء فى الحديث النبوى ١٨١ .

يراد بها لفت المخاطب إلى حقيقة قد أغفلها وسار فى أمره على غير هداها . ([1])

وفى حالة الدعاء لا يتصور فيه إنكار مخاطب أو تنزيله منزلة منكر لأن المخاطب فى الدعاء هو الله تعالى وإنما يراعى حال المتكلم الداعى وعمق إحساسه بالمعنى وتصويره له تصويراً يلائمه ويعبر عن حالة فى نفسه ([2]) . فـ " القضية عند التحقيق قضية متكلم لأن العبارة تتأثر بما وعاه المتكلم من حال المخاطب يعنى بحال المخاطب المنعكسة فى نفس المتكلم وليس حال المخاطب فى ذاته " . ([3])

وطريق النفى والاستثناء من أساليب القصر الشديدة الوقع البالغة التأثير يعبر عن قوة الدعاء وشدة رغبة الداعى فى الإجابة ويشير إلى رسوخ معانى الدعاء فى عقيدة المسلم واستقرارها فى يقينه .

ففى قوله : " لا إله إلا أنت " قصر صفة الألوهية على ضمير المخاطب وهو الله تعالى قصر صفة على موصوف قصراً حقيقياً تحقيقياً بحسب الواقع .

وجاء القصر بطريق النفى والاستثناء مع أن الداعى يعلم التوحيد ويقر بتوحيد الألوهية ولكن لما كان حريصاً على الأخذ بأسباب الإجابة شغوفاً إلى مرضاة ربه صار فى حكم المنكر فنزل منزلته فجاء القصر بالنفى والاستثناء ليشير إلى هذه المعانى .

([1]) دلائل الإعجاز تعليق الشيخ محمود شاكر ٣٢٨ - ٣٥٤ وشروح التلخيص ٢/١٩٣-٢٣٤ وبغية الإيضاح ٢/١٢ ، ١٣ ، ١٦ - ٢٩ .

([2]) بلاغة الدعاء فى الحديث النبوى ١٧٧ .

([3]) دلالات التراكيب د. محمد أبو موسى ٧٦ مكتبة وهبة ط ثانية ١٩٨٧م .

وفيه أيضاً الحرص على ذكر كلمة التوحيد " لا إله إلا الله " التى تعد من أعظم الثناء على الله تعالى مما يناسب التمهيد لإجابة الدعاء .

فقد جاء فى الحديث " أفضل الذكر لا إله إلا الله " وإنما كانت أفضل الذكر لأن الإيمان لا يصح إلا بها ولأنها كلمة التوحيد وكلمة الحق وكلمة الإخلاص ولأنها تؤثر تأثيراً بيناً فى تطهير القلب عن كل وصف ذميم راسخ فى باطن الداعى وسببه أن " لا إله " نفى لجميع أفراد الآلهة و " إلا الله " إثبات للواحد الحق الواجب الوجود لذاته المنزه عن كل ما لا يليق بجلاله .([1])

وفى التعبير بضمير الخطاب مع ما سبق فيه إشارة إلى أن يحقق له الإجابة السريعة اقتداء بسيدنا يونس ﴿ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنْ الظَّالِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنْ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾ . ([2])

وفى قوله : " فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت "

طريق النفى والاستثناء ناسب مقام الداعى هنا لأنه يطلب الغفر أى الستر للذنوب وهو مجاز فى عدم المؤاخذة عن الذنب وهذا لا يصدر إلا عن ندامة ونية إقلاع عن الذنب وعدم العودة إليه ولذا كان الاستغفار فى لسان الشارع بمعنى التوبة . ([3])

وطريق النفى والاستثناء يشير إلى هذه المعانى المهمة وإلى المعاناة النفسية التى يتحملها الداعى فى سبيل التخلص من أوزار الذنوب وإلى المشاعر المضطرمة فى نفس الداعى والمترددة بين الخوف من عدم الإجابة والرجاء فى

([1]) الفتوحات الربانية ١/٢١٣-٢١٤ .

([2]) سورة الأنبياء : الآية ٨٧ ، ٨٨ .

([3]) التحرير والتنوير ٤/٩٢ ، ٩٣ .

الإجابة من أجل هذا نزل الداعى منزلة الجاهل المنكر فاستعمل طريق النفى والاستثناء .

والجملة نظير قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلا اللَّهُ ﴾ (١) والاستفهام فى الآية للإنكار والنفى و " أن هذا الإنكار أو النفى لا لإنكار الواقع ونفيه ولا لإنكار الوقوع ولكنه نفى لتوهم الوقوع عند من يقع عنده هذا الوهم إذ لا أحد من الناس ادعى أنه يملك غفران الذنوب وصكوك الغفران التى ادعاها البابوات فى أوروبا وزعمهم أنهم يملكون العفو ومغفرة الذنوب حدثت بعد نزول القرآن بدهر طويل ولذلك فإن مواجهة هذه الظاهرة لم تكن ملحوظة فى عصر النزول " . (٢)

ففى الجملة وفى الآية قصر غفران الذنوب على الله تعالى قصر صفة على موصوف قصراً حقيقياً تحقيقياً . (٣)

والجملة توحى بأن الداعى يحاول أن يحقق فى نفسه مرتبة المتقين الذين أعدت لهم مغفرة من ربهم وجنة عرضها السموات والأرض والذين من أوصافهم ﴿ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾.(٤)

ولا عجب فى ذلك فقد حققوا فى أنفسهم أركان التوبة فكان استغفارهم قولاً وعملاً مما يفتح باب الرجاء فى قبول الدعاء وغفران الذنوب من خير الغافرين سبحانه وتعالى . (٥)

---

(١) سورة آل عمران : الآية ١٣٥ .

(٢) التفسير البلاغى للاستفهام فى القرآن الحكيم ١/١٨٠ ، ١٨١ .

(٣) علم المعانى د. بسيونى قيود ٢/٢٩ مؤسسة المختار بالقاهرة ودار المعالم الثقافية بالأحساء ط أولى ١٩٩٨م .

(٤) سورة آل عمران : الآية ١٣٥ .

(٥) انظر بلاغة الدعاء فى الحديث النبوى ٢٧١ .

الطريق الثانى : تعريف الطرفين :

ما عليه جمهور البلاغين أن طرق القصر أربعة : التقديم ، والعطف بـــ " لا وبل ولكن " والنفى والاستثناء وإنما ، وأضاف بعضـــهم : تعريـف أحـد طرفى فى الجملة بـــ " أل " ، وتوسط ضمير الفصل بين المبتـــدأ والخـبر (١) وتعريف الطرفين . وزاد بعضهم طرقا أخرى أو صلها السيوطى إلـــى أربعـة عشر طريقا ، ولكن اقتصر على الأربعة لأنها غنية بالاعتبارات والملاحظـــات دون غيرها (٢) وتعريف الطرفين من الطرق التى يكون القصر فيها بـــدلالات فى الكلام تفهم من تعريف طرفى الإسناد فـــى الجملـــة ويكـــون فـــى الجمـــل الاسمية كما فى حديث سيد الاستغفار " أنت ربى " " وأنا عبـــدك " فقـــد يفيـد تعريف طرفى الإسناد القصر بمساعدة قرائن الأحوال أو المقال مع إفادته تقوية الإسناد وتوكيد . (٣)

تعريف تحديد طرفى القصر : المقصور عليه فى طريق تعريف الطرفين .

فى طريق تعريف الطرفين يكون تحديد طرفـــى القصـــر : المقصـــور والمقصور عليه على حالتين :

الحالة الأولى : إذا كان أحد طرفى الجملة معرفـــاً بـــ " أل " الجنســـية قيـــل المقصور هو المعرف بـــ " أل " الجنســـية ســـواء تقـــدم أو

---

(١) علم المعانى د . بسيونى فيود ٢٣/٦/٢ .

(١) من أسرار التركيب البلاغى د. السيد عبد الفتاح حجاب ١٢٠ المكتبة التوفيقية ط أولـــى ١٩٧٧ م .

(١) علم المعانى د . بسيونى فيود ٤٤/٢ .

(٢) الإتقان ١٦٦/٣ -١٧٨ النوع الخامس والخمسون فـــى الحصـــر والاختصـــاص الهيئـــة المصرية العامة للكتاب-والمطول ٢١٠ مطبعة أحمد كامل ١٣٣٠ ه .

(٣) البلاغة العربية عبد الرحمن حســـن حبنكـــة الميدانـــى ٥٣٦/١ ، ٥٤٤ وعلـــم المعـــانى د/بسيونى فيود ٤٤/٢ .

تأخر. ([1]) وقيل : المقصود هو المبتدأ الذى يجب فى هذه الحالة تقديمه ، والمقصور عليه الخبر الذى يجب فى هذه الحالة تأخيره .([2])

الحالة الثانية : إذا كان طرفا الجملة معرفين بـ " أل " الجنسية أو معرفين بغيرها يكون السياق هو الذى يحدد المراد ويعين المقصور عليه فى الجملة . ([3])

وفى قوله : " أنت ربى " قصر ﷺ فيه الربوبية على الله تعالى قصر صفة على موصوف قصرا حقيقيا فأنت ترى أن المقصور عليه " أنت " المبتدأ والمقصور " ربى " الخبر والسياق وقرائن الحال هى التى حددت ذلك لأنه يستحيل هنا أن تقصر المبتدأ أنت أى الله تعالى على الخبر .

وأنا أرى أنه لا قصر فى قوله : " أنت ربى " وأنها لإفادة تأكيد الحكم وتقريره لأن الربوبية ظاهرة بينية لا يستطيع أحد أن ينكرها أو يشك فيها فعقلاء الناس فى كل زمان ومكان يتحاشون دائما أن ينسبوا شيئا من صفات الربوبية لغير الله تعالى الرب الخالق الذى لا رب غيره ولا إله سواه وذلك لما يعلم الإنسان العاقل ذو الفطرة السليمة من عدم صلاحية المخلوقين للاتصاف بصفات الربوبية وعجزهم عنها لأن المخلوق لا يخلق والمملوك لا يملك ، ويكفى شاهدا على هذه الحقيقة اعتراف مشركى العرب حين نزول القرآن وهم يدعون إلى عبادة الله تعالى وحده اعترافهم بعدم صلاحية آلهتهم لشىء من

([1]) البلاغة العربية عبد الرحمن حسن حبنكة الميدانى ٥٣٦/١ ، ٥٤٤ وعلم المعنى بسيونى فيود ٤٤/٢ .

([2]) من أسرار التركيب البلاغى د. السيد عبد الفتاح حجاب ١٢٠ المكتبة التوفيقية ط أولى ١٩٧٧ م .

([3])علم المعانى د . بسيونى فيود ٤٤/٢ .

صفات الربوبية وحقائقها مع شدة تعصبهم لتلك الآلهة وتقديسهم لها وتعظيمهم فإنهم كانوا لا يترددون فى الاعتراف بعدم صلاحية الإنسان فضلا عن غيره من التماثيل والأصنام للاتصاف بصفات الربوبية فلم يكونوا ينتحلونها لأفرادهم ولا لآلهتهم ولا يدعونها لها بحال وذلك لما وقر فى نفوسهم بحكم الفطرة البشرية من عجز المخلوقين عن الخلق والرزق والتدبير والملك " (١) .

وفى قوله : " وأنا عبدك " قصر نفسه – ﷺ – على صفة العبودية قصر موصوف على صفة قصرا حقيقيا تحقيقيا .

وفى هذا القصر دلالة على شدة خضوعه ﷺ وتذلله إليه – سبحانه وتعالى وهذا هو اللائق بمقام الدعاء .

" وتعريف الطرفين طريق ملائم للمعنى فى الجملتين لأنه يدل على أن هذا المعنى ظاهر معلوم لا يحتاج إلى تشدد فى بناء العبارة لأنه نابع من فطرة النفس فى يسر وسهولة " (٢) .

كثرة الأساليب الخبرية فى الدعاء النبوى

من يقرأ حديث " سيد الاستغفار " يجد كثرة الجمل الخبرية تحيط بجملتى الدعاء " أعوذ بك من شر ما صنعت " ، و " فاغفر لى " وتتركز حول معنيين :

المعنى الأول : الثناء على الله تعالى بما هو أهله كما هو الحال فى أكثر فواتح الدعاء النبوى ومطالعه وذلك فى الجمل " أنت ربى " ، " لا إله إلا أنت " ، " أنت خلقتنى " وفى ذلك استعطاف الله تعالى والتقرب إليه بأسمائه وصفاته ، وفيه ترقيق لنفس الداعى

---

(١) عقيدة المؤمن أبو بكر الجزائرى ٧٤-٨٤ .

(٢) بلاغة الدعاء فى الحديث النبوى ١٨٢ .

واستثارة لعواطفه بما تثيره هذه الأسماء والصفات فـــى نفـــس الداعى من المعانى .

المعنى الثانى : وصف الداعى حاله وصفا يستعطف به ربه ويتناسب مـــع مـــا يطلبه فى دعائه وذلك فى الجمل " وأنا عبدك " ، و" ، " وأنا على عهدك ووعدك ما اســـتطعت " ، " أبـــوء لـــك بنعمتك على " ، " وأبوء بذنبى " .

ففى ذلك ذكر الله بأكمل الأوصاف وذكر الداعى نفسه بأنقص الحـــالات وهو أقصى غاية التضرع ونهاية الاستكانة لمن لا يســـتحقها إلا هـــو ســـبحانه وتعالى " مما يدل على التلطف فـــى الدعـــاء والتوطئـــة لـــه وإكثـــار التذلـــل والاستعطاف قبله وبعده ليحاط بالقبول على قدر إحاطته بالثناء والتذلل " ([1]).

وأما قوله : " فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت " فهى جملة تعليليـــة – كمـــا سبق – وذلك شأن الدعاء النبوى الذى كثرت فيه الجمل التعليليـــة للدعـــاء ([2]) تكشف علة الدعاء وتبين سببه مما يريح نفس الداعى ويبعث فى قلبه الطمأنينـــة ويقوى رجاءه فى الإجابة .

حديث " سيد الاستغفار " والإيجاز "

حديث " سيد الاستغفار " يمثل قمة إيجاز القصر الذى هو أن يقصر اللفظ عن أداء المعنى على وجه يطابق مقتضى الحال ([3]) أى ما قل لفظه وكثر معناه مع الوفاء بالمعنى من غير حذف وهو ما يعبر عنه بـــ " جوامع الكلـــم " التـــى اختص بها الكلام النبوى عامة والدعاء النبوى خاصة فقد كان ﷺ يدعو بجوامع الدعاء ويعلمها أصحابه ويحثهم على اختيار الكوامل الجوامع .

([1]) انظر تفصيل هذه الظاهرة بلاغة الدعاء فى الحديث النبوى ٤٤-٤٨ .

([2]) المرجع السابق نفسه ٢٦٧ - ٢٧١ .

([3]) شروح التلخيص ٣/١٧١ .

وشرط إيجاز القصر أن يخلو من الأسباب التى يغمض الكلام لأجلها بأن يبعد المتكلم عن المبالغة فى الإيجاز والكلمة الوحشية والأسماء المشتركة أو بأن يكون المعنى فى نفسه دقيقاً أو يحتاج فهمه إلى مقدمات إذا تصورت بنى ذلك المعنى عليها .([1])

والبلاغة بعناصرها الثلاثة : القصد والخلوص والاستيفاء تحققت " فى البلاغة النبوية هذا النوع من الكلم الجامعة التى هى حكمة البلاغة " . ([2])

" وكان ﷺ طويل الصمت دائم السَّكْت يتكلم بجوامع الكلم لا فضل ولا تقصير وكان يبغض الثرثارين المتشدقين . ([3])

وأن رسالة النبى – ﷺ – تقوم على الإبلاغ وأن أقوى الإبلاغ " فى كلام النبى – ﷺ – هو اجتماع المعانى الكبار فى الكلمات القصار اجتماع العلوم الوافية فى بضع كلمات وقد يبسطها الشارحون فى مجلدات . ([4])

فالدعاء النبوى ينظر فيه إلى ألفاظه من حيث قلتها وكثرة معانيها فألفاظه قليلة ومعانيه كثيرة حَيَّرَتْ أرباب البلاغة وفرسان الفصاحة . وينظر فيه إلى أغراضه ومدى شمولها لخيرى الدنيا والآخرة ووفائها بحاجات النفوس فى عاجلها وآجلها " فجوامع الدعاء هى التى تجمع الأغراض الصالحة والمقاصد الصحيحة أو التى تجمع الثناء على الله وآداب المسألة وعلى غير

([1]) سر الفصاحة لابن سنان الخفاجى شرح عبد المتعال الصعيدى ٢١٢ ، ٢١٣ مكتبة محمد على صبيح ١٩٦٩م .

([2]) إعجاز القرآن البلاغية النبوية الرافعى ٣٣٩ دار الكتاب العربى بيروت .

([3]) رسائل الجاحظ تحقيق عبد السلام هارون ١٥١/٤ مكتبة الخفاجى .

([4]) عبقرية محمد العقاد ٦٩ ، ٧٧ دار النهضة مصر القاهرة .

ذلك وهى التى تشمل طلب حصول كل خير دينى ودنيوى وهذا معنى قولـــهم : الدعاء كلما عَمَّ تَمَّ " . ([1])

وحديث سيد الاستغفار قد تحقق فيه كل ما سبق وأكتب ما نقله العلمـــاء عن ابن أبى حمزة فيما كتبه عن إيجاز الحديث : " جمع ﷺ فى هذا الحديـــث من بديع المعانى وحسن الألفاظ ما يحق له أن يسمى سيد الاستغفار ففيه الإقرار لله وحده بالإلهية والعبودية والاعتراف بأنه الخالق والإقرار بالعهد الذى يـــأخذه عليه والرجاء بما وعده بـــه والاستعاذة من شر ما جنـــى العبـــد علـــى نفســـه وإضافـــة النعماء إلـــى موجـــدها ، وإضافـــة الـــذنب إلى نفسه ، ورغبته فى المغفرة ، واعترافه بأنه لا يقدر أحد على ذلك إلا هو ، وفى كل ذلك الإشـــارة إلى الجمع بين الشريعة والحقيقة فإن تكاليف الشريعة لا تحصل إلا إذا كان فـــى ذلك عون من الله تعالى الذى يكفر عنه بالحقيقية فلو اتفق أن العبد خالف حتـــى يجرى عليه ما قدر عليه وقامت الحجة عليه ببيان المخالفة لـــم يبـــق إلا أحـــد أمرين : إما العقوبة بمقتضى العدل أو العفو بمقتضى الفضل " .

ثم نقلوا عنه أيضا من شروط الاستغفار صحة النيـــة والتوجـــه والأدب فلو أن أحدا حصل الشروط واستغفر بغير هذا اللفظ الوارد لكن أخل بالشـــروط هل يستويان ؟ فالجواب أن الذى يظهر أن اللفظ المذكـــور إنمـــا يكـــون ســـيد الاستغفار إذا جمع الشروط المذكورة . ([2])

البشرى للداعى بـــ " سيد الإستغفار "

من قالها بالنهار موقنا بها فمات من يومه قبل أن يمسى فهو مـــن أهـــل الجنة ومن قالها بالليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة .

([1]) الفتوحات الربانية ١٩٣/٧ وبلاغة الدعاء فى الحديث النبوى ٢٨٥- ٢٩٣ .

([2]) فتح البارى ٢٣ / ١١٧ ، ١١٨ .

يختم النبى - ﷺ - حديث " سيد الاستغفار " ببيان جزاء قائلـــه وتـــأكيد البشرى باستحقاقه الجنة وذلك فى جملتين شرطيتين تبرزان الجزاء فى صـــورة مؤكدة لا تقبل شكا أو إنكاراً وأحاول هنا – بعونه تعالى - أن أسجل شـــيئا مـــن خصائص نظم الجملتين الفنية على النحو الآتى : -

الجملة الشرطية : هى الجملة المركبة تركيبا شرطيا أى المكونة من أداة الشرط ومن جملتى الشرط والجواب .

وجملة الشرط : هى الجملة الفعلية أو الاسمية تلى أداة الشرط .

والشرط : تعليق شىء على آخر وجودا وعدما .

وأداة الشرط تحتاج إلى فعلين : فعل الشرط وجواب الشرط أو جزاؤه .

وفعل الشرط سمى بذلك لأن المتكلم يعتبر تحقيـــق مدلـــول الجـــواب ووقوع معناه ولا يمكن عند المتكلم أن يتحقق معنى الجواب ويحصـــل إلا بعـــد تحقيق معنى فعل الشرط وحصوله سواء أكان الشرط سببا فى وجود الجـــواب والجزاء أم غير سبب بأن يكون الشرط ملزوما والجواب لازما .

وجواب الشرط : الفعل الثانى المرتب على فعل الشرط ترتب الجـــواب علـــى السؤال ويسمى كذلك " جزاء " لأن مضمونة جـــزاء لفعـــل الشرط ([1]) .

وأداة الشرط هنا " مَنْ " وفعل الشرط " قالها " وجواب الشرط " فهو مـــن أهل الجنة"ونظرا لأنه جملة اسمية لا تصلح أن تكون شـــرطا اقـــترن بالفـــاء وجوبا.

([1]) النحو الوافى عباس حسن ٤/٤٢٢ ، ٣٠٨ وشرح التصريح على التوضيح للشـــيخ خـــالد الأزهرى ٢/٢٤٨ دار إحياء الكتب العربية – عيسى البابى الحلبى وشركاه .

هذا عند النحويين ، أما البلاغيون فقد ذكروا الجملة الشرطية فى أحـــوال المسند والتى منها تقييد الفعل الواقع فى جملة الجواب والجزاء بالشرط ويفـــهم من ذلك أن الجزاء (جملة الجواب) هو الكلام المقصود بالإفادة وأمـــا جملـــة الشرط فليست كلاما مقصودا لذاته بل مذكورة على أنها قيد لحكم الجزاء بمنزلة الفضلات كالمفعول والظرف فإن قلت : إن جئتنى أكرمتك فـــالمعتبر لأصـــل الإفادة هو الإخبار بالإكرام وأما الشرط وهو المجـــىء ، فهو قيد فيـــه فكـــأنك قلت : أكرمك وقت مجيئك . ([1])

وبذلك يتبين لنا أن جملة الجزاء " فهو من أهل الجنـــة " هـــو الغـــرض من الكلام والهدف الـــذى تشحـــذ إليـــه الـــهمم وتبـــذل مـــن أجلـــه الأرواح والمنهج . ([2])

أداة الشرط " مَنْ "

" مَنْ " وضعت فى أصل معناها للدلالة على شىء يعقل فإذا تضمن معـــه معنى الشرط صارت أداة شرطية للعاقل فتفيد تعليق وقوع الشرط عنـــد عـــدم المانع ، وهى اسمية باتفاق ويمتنع اتصالها بـــ " ما " الزائدة عند استخدامها أداة شرط جازمة .

وعند تأمل استعمالات " مَنْ " الشرطية فى القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف نجدها وسيلة تقرر حقائق وتؤكد على قضايا خطيرة تتعلق بدين المـــوء وإيمانه وما يتعلق بذلك من أعمال وصفات يقتضيها الإيمان ولا يكمل إلا بـــــها

([1]) مواهب الفتاح – ضمن شروح التلخيص ٢/ ٢٦ .

([2]) انظر " الجملة الشرطية عند النحاة وعند البلاغيين " الجملة الشرطية الواقعة فى خواتيـــم الآيات القرآنية ومقاماتها البلاغية رفعت السودانى ١٠-٣٤ط أولـــى ١٩٩٥ م الـــتركى بطنطا .

مع بيان الجزاء والعاقبة وتحذر من المعاصى وتعدى الحدود وارتكاب المخالفات وتبين العاقبة والعقاب ، وتُكَوِّن فى جملتها منهجا تربويا للنفوس المؤمنة وترغيبا وترهيبا لمن يريد النجاة ووعدا ووعيدا لمن يتحرى الصراط المستقيم ويتقى الضلال والمعاناة ، وهى هنا تبرز جزاء الجنة لمن قال سيد الاستغفار بآدابه وشروطه .

قيمة الأسلوب الشرطى الفنية

الأسلوب الشرطى عامة يمتاز بربط بين أجزاء الكلام ربطا ملاحظا فيه ترتب المسبب على السبب فإذا ذكرت أداة الشرط وأردفت بفعل الشرط تشوقت النفس إلى ذكر ما سيكون فإذا ذكر الجواب بعد هذه الإثارة وهذا التشويق تمكن أيما تمكن . ([1])

وأسباب التشويق فى الجملة الشرطية ثلاثة :

الأول : جملة الشرط تشوق إلى تمام المعنى بجملة الجواب .

الثانى : جملة الشرط سبب إلى معرفة المسبب وهو جملة الجواب .

الثالث : أداة الشرط مبهمة تشوق إلى توضيحها بالشرط والجواب . ([2])

هل الجملة الشرطية إنشاء ؟

الجملة الشرطية يحكم عليها إنشاء أو خبرا باعتبار جوابها فإذا كان الجواب طلبيا فهى إنشائية وإن كان غير ذلك فهى جملة خبرية . ([3])

([1]) راجع تفصيل ذلك " الجملة الشرطية التى أداتها " مَنْ " الواقعة فى خواتيم الآيات القرآنية المرجع السابق ٤٤٠-٥٠٩ .

([2]) التشويق خصائصه ووسائله فى البلاغة العربية السيد أحمد محمد موسى ٤٦٥ ، ٤٦٦ رسالة ماجستير كلية اللغة العربية بالمنصورة ٢٠٠٢ م .

([3]) أسلوب الشرط بين النحويين والبلاغيين د. فتحى بسيونى حمودە٢٦١-٢٦٢دار البيان العربى بجدة ١٩٨٥م، الأساليب الإنشائية عبد السلام هارون ١٨٠-١٩٥. مكتبة الخفاجى ١٩٧٩م .

" قالها " :

من خلال ما سبق يتضح أن الدعاء بـ " سيد الاستغفار " ليس مجرد قول بل لما كان طلب الصفح عن المؤاخذة بالذنب لا يصدر إلا عن ندامة ونية إقلاع عن الذنب وعدم العودة إليه كان الاستغفار فى لسان الشارع بمعنى التوبة إذ كيف يطلب العفو عن الذنب من هو مستمر عليه أو عازم على معاودته ولو طلب ذلك فى تلك الحالة لكان أكثر إساءة من الذنب فلذلك عد الاستغفار هنا مرتبة من مراتب التقوى . (١)

ومع هذا ففى ذكر القول إشارة إلى أهميته وأنه طريق يوصل إلى الخير حيث يتعود اللسان على الكلم الطيب ويهجر فحش الكلام وقبيح القول وفى ذلك نفع كبير وفائدة جليلة تبعث على العمل بما يقول وتدفعه إلى الاجتهاد فى الأعمال الصالحة .

وفى ذكر مفعول القول ضمير غائبة مفردة " ها " مع أن دعاء " سيد الاستغفار " كلمات وليس كلمة ففيه مع جوازه لغة إثارة وتنبيه للأذهان ومدعاة للتأمل لمخالفته ما تتوقعه النفس من سلوك الطريق المعهودة فى مطابقة الضمير لمرجعه إفرادا وتثنية وجمعا ، وفيه أيضا دلالة على أن دعاء " سيد الاستغفار " فى وحدته وتماسكه فى حكم الكلمة المفردة لا يجوز إسقاط جزء منه أو تغيير حرف من حروفه أو تبديل كلمة من كلماته وإلا فسد الدعاء وتعطلت فائدته المرجوة منه .

" بالنهار "

النهار ضد الليل وهو اسم لكل يوم ، وواحد النهار يوم وتثنية يومان وفى الشرع ما هو ضياء ما بين طلوع الفجر إلى غروب الشمس وأصله من طلوع

---

(١) التحرير والتنوير ٤/٩٢ ، ٩٣ عند التفسير قوله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ ﴾ .

الشمس إلى غروبها وجمعه قلة : أنهر وكثرة : نُهُر . ([1])

وذكر النهار هنا ليقابله فى الجملة الشرطية بالليل وفى ذلك استقصاء لساعات النهار والليل وبعث للأمل فى قلب المؤمن وأنه إذا دعا بـ " سيد الاستغفار " فى أى ساعة من نهار أو ليل فأدركه الموت كان من أهل الجنة .

وقدم النهار على الليل مع أن عبادة الليل أعظم ليفيد أن العبد فى النهار مع انشغاله بمعاشه وتعرضه لمعاناة السعى والكسب يدعو الله ويطلب منه المغفرة مما يدل على أن قلبه عامر بذكر الله وأنه وصل إلى مرتبة المتقين الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله تعالى .

والباء هنا بمعنى " فى " الظرفية أى : فى النهار وأثر الباء هنا لدلالة على مطلق التلبس والمصاحبة لأى جزء من أجزاء الملتصق به دون الدلالة على الدخول فى أعماقه والاختفاء فيه ([2]) . فمن دعا بـ " سيد الاستغفار " فى أى وقت من أوقات النهار سواء فى أوله أو فى وسطه أو فى آخره فمات كان من أهل الجنة . ([3])

" مؤمنا بها "

حال مفردة تبرز حالة الداعى وأنه قد تحقق فيه أهم صفات المتيقن وهو الإيقان فالموقن هو العالم علما لا يقبل الشك فى ثواب " سيد الاستغفار " وأن وعده – ﷺ – بدخول صاحبه الجنة حق وصدق لا مراء فيه .

([1]) تابع العروس مادة نهر .

([2]) من أسرار حروف الجر الذكر الحكيم د . محمد الأمين الخضرى ١٨٨ ، ١٨٩ مكتبة وهبة ط أولى ١٩٨٩م

([3]) ما يقال هنا عن الباء فى " النهار " يقال عنها فى " بالليل " فى الجملة الشرطية الثانية.

وهذه مرحلة لا تأتى غالباً إلاَّ بعد مجاهدة وطـــول معانـــاة لأن الإيقـــان بالشىء هو العلم بحقيقته بعـــد النظـــر والاستدلال ولـــذا لا يوصف الله تعـــالى باليقين . (٤)

والمتأمل لحديث القرآن عن الموقنين يجد أن الموقنين من صفات المتقيـن وأنهم أهل لفهم الآيات الكونية والقرآنية وأهل لتطبيق حكم الله وهم أهل بصـيرة وهدى ورحمة ، وأول درجات النبوة . (٢)

واليقين من الإيمان بمنزلة الروح من الجسد وبه تفاضل العارفون وفيـــه تنافس المتنافسون وإليه شمر العاملون وعمل القوم إنما كان عليـــه وإشـــاراتهم كلها إليه وإذا تزوج الصبر باليقين ولد بينهما حصول الإمامة فى الدين"(٣).

واليقين روح أعمال القلوب وهو حقيقة الصديقية والله تعالى جعل الـرَّوْح والفرح فى الرضا واليقين وجعل الهم والحزن فى الشك والســـخط ، والتوكـــل ثمرة اليقين ونتيجتة " ومتى وصل اليقين إلى القلب امتلأ نورا وإشراقا وانتقـــى عنه كل ريب وشك وسخط وهَمّ وغَمّ فامتلأ محبة لله وخوفا منـــه ورضـــا بـــه وشكرا له وتوكلا عليه وإنابة إليه فهو مادة جميع المقامات والحامل لها " (٤) .

واليقين مركب السائر إلى الله تعالى وهو غاية درجات العامة إلية ينتهون وأول خطوة للخاصة يبتدئون منه سلوكهم وسيرهم إلى الله تعالى . (٥)

---

(١) التعريفات للجرجانى ٥٩ .

(٢) الآيات : البقرة ٤، ولقمان ٤، والبقرة ١١٨، والسجدة ٢٤ ، والجاثية ٤ ، والمـــائدة ٥٠ ، والجاثية ٢٠ ، والأنعام ٧٥ .

(٣) مدارج السالكين ٤١٣/٢ .

(٤) المرجع السابق ٤١٣/٢ – ٤١٤ .

(٥) انظر " درجات اليقين " المرجع السابق ٤١٨/٢ – ٤٢٢ .

وقال فى جانب النهار " موقنا بها " حالا مفردة وقال فى جانب الليل " وهو موقن بها " جملة اسمية حالية لأن الإنسان فى النهار تكثر شواغله سعياً على المعاش واختلاطاً بالناس فيصدق عليه أولى درجات اليقين وهى التعبير بالمفرد " موقناً " رحمة به ورأفة من الله تعالى فالعبد مع انشغاله بأمور أخرى مجرد أن يقول دعاء " سيد الاستغفار " مع يقين بثوابتها فمات كان من أهل الجنة مكافأة له على حرصه على الاتصال بالله والتوجه إليه مع أشغاله.

أما فى جانب الليل فجاء بالجملة الإسمية " وهو موقن بها " التى تكرر فيها الإسناد إلى ضمير القائل مرتين ، مرة أسند إليه الخبر باعتباره مبتدأ ومرة أسند إليه الوصف باعتباره فاعلاً ، وتكرار الإسناد يدل على عمق اليقين فى قلب الداعى بتعدد وسائله فالمؤمن بالليل ينشئ الصلاة بعد النوم فيتمكن منها بتفرغه لها وهدوء باله من الأشغال النهارية وتكون أوفق بالمصلى بين لسانه وقلبه أى بين النطق بالألفاظ وتفهم معانيها للهدوء الذى فى الليل وانقطاع الشواغل ، وصلاة الليل على هذا النحو أعون على تذكر القرآن والسلامة من نسيان بعض الآيات وأعون على المزيد من التدبر (١) قال تعالى : ﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلا ﴾ . (٢)

وفى وسط هذا الجو يلجأ العبد إلى ربه بدعاء " سيد الاستغفار " فيكون أعمق يقيناً وأكثر استيعاباً لمعانيه وآكد رغبة فى ثوابه وكأن يقينه ازداد درجة بعد درجة فإذا مات فهو من أهل الجنة .

" فمات "

دلت الفاء العاطفة على أن موت القائل جاء عقب قوله بدعاء " سيد الاستغفار " بلا مهلة وأن الدعاء بـ " سيد الاستغفار " المقترن بحالة اليقين

---

(١) التحرير ولاتنوير ٢٩/٢٦٢-٢٦٥ .

(٢) سورة المزمل : الآية ٦ .

كان سبباً فى الفوز بالجنة وأنه كان تطهيراً له من آثار اللمم وعاقبة الـــهفوات من الصغائر ، هذا ومقام الداعى بـــ " سيد الاستغفار " يوحى بأنه قد اجتـــذب الكبائر وأنه كان دائم التوبة والرجوع إلى الله تعالى وأنه أحســـن الظـــن بـــالله تعالى فكان الله تعالى عند حسن ظنه فكافأه بأعظم مما يتوقع بالفوز فى الآخـــرة وأسكنه جنته وجعله من أهلها . ([1])

" من يومه "

" مِنْ " بمعنى " فى " أى : فى يومه وأوثر " مِنْ " الدلالة على أن المـوت قد يحصل فى أى جزء من النهار من أوله إلى آخره . ([2])

واليوم هو النهار أو مطلق الزمان أو الوقت مطلقاً وعليه فـــلا يختـــص بالنهار دون الليل ، وشاع عند المنجمين أن اليوم من الطلوع إلى الطلوع أو من الغروب إلى الغروب . ([3])

وانسجاما مع دلالة " مِنْ " عبر بـــ " يومه " لما تحتمله من هذه المعـــانى ويكون المعنى : فمات من ساعته أو وقته أى وقع الموت عقب القول بـــ " سـيد الاستغفار " مباشرة فى وقته وزمنه وساعته . ففيه إشارة إلى أن قـــول " ســـيد الاستغفار " بشروطه وآدابه بمثابة جواز سفر إلى الجنة وشـــهادة ملكيـــة فـــى الجنة ووثيقة تعارف على أهلها لم يذكر فى جانب الليل مقابل " مـــن يومـــه " فيقول : فمات من ليلته وذلك لأن الموت بالنهار عادة ما يكون مستبعد عند كثير من الناس لأن زمن النهار يكون للحركة والسعى فأتى " من يومه " ليزيل هـــذا

([1]) نفس الكلام يقال فى قوله : " فمات " فى جانب الليل .

([2]) من أسرار حروف الجر فى الذكر الحكيم ٣٦٤-٣٦٩ .

([3]) تاج العروس مادة يوم .

الاستبعاد ويمحو ما قد يكون فى نفس البعض من شك أو تردد ويؤكد علـــى أن الموت متوقع فى كل وقت من أوقات النهار .

ولم يذكر فى جانب الليل " من ليلته " لأن الموت بالليل متوقـــع فالنـــاس جميعاً يشتركون فى الموتة الصغرى بنومهم بالليل وأمر عـــودة الـــروح بعـــد النوم أمر مرجوح بل الراجح الموتة الكبرى التى هى الوفاة الكاملة الحقيقية .

قال تعالـــى : ﴿ وَهُوَ الَّـــذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَـــــمُ مَـــا جَـــرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ﴾. (١)

وقال تعالى : ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِـــهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِـــي ذَلِـــكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ . (٢)

فلم يحتج إلى زيادة " من ليلته " لأنه لا إنكار ولا تردد حتى يزيلـــه بـــل الأمر متوقع يكفى فيه التعبير بالفعل " فمات " دون زيادة .

" قبل أن يمسى "

أى : قبل أن يدخل فى المساء وهو أول الليل من غروب الشـــمس إلـــى العشاء يقابله الصباح وهو أول النهار وقيل : المساء زمان يمتد من الظهر إلـــى المغرب أو إلى نصف الليل . (٣)

ويلاحظ أن الكلام يتم بدون القيد بهذا الظرف ولكنه زيادة فـــى كـــلام لا يوهم خلاف المقصود يفيد المبالغة فهو تتميم (٤) وفـــى ذلك إيضـــاح للمعنـــى

---

(١) سورة الأنعام : الآية ٦٠ .

(٢) سورة المزمر : الآية ٤٢ .

(٣) تاج العروس مادة مسو .

(٤) الإيضاح مع البغية ٢/١٤٥ ، ١٤٦ ومثله فى جانب الليل " قبل أن يصبح " .

وتأكيد على من قال " سيد الاستغفار " فمات قبل الدخول فى المساء ثبـــت لـــه الجزاء الآتى وفى ذلك مبالغة فى بث الأمل فى قلب المؤمن الداعى .

" فهو من أهل الجنة "

جملة جزاء الشرط جملة اسمية لا تصلح أن تكون فعل شرط ولذا وجـب اقترانها بالفاء لربطها بجملة فعل الشرط .

واختيرت الفاء لأن حق الجواب أن يكون عقب الشرط متصلاً به والفـاء توجب ذلك لأن ما بعدها فى العطف بعد الذى قبله متصل . (١)

وقد أطيل الكلام فى فعل الشرط وما عطف عليه تشويقاً للجـزاء فخـير الكلام ما يستنفر الملكات ويذكى الحس ويثير الاهتمام ويبعث على النشاط وكلما كان الكلام أقدر على تنشيط هذه القدرات كان أدخل فى القلب وأمـس بسـرائر النفس المشغوفة وأعلق بها من الخبر الذى يلقى غفلاً ساذجاً ويكون ذلـك فـى الأمور المهمة ذات البال التى تحتاج إلى مزيد من العناية والاهتمـام وتوجيـه الأنظار والقلوب نحوها فإذا جاءت وضعت موضعها اللائق بها وأَحَسَّ المتكلـم أو المتلقى بقيمتها فتثبت فى ذهنه وتتأكد لديه (٢) . ولا أهم لدى المؤمـن مـن جزاء الجنة التى هى غاية الغايات وعقبى الفائزين ونهاية مطاف المتقين .

وجاءت جملة الجزاء جملة اسمية لتدل على الـدوام والثبـوت وأنـه ثواب خالد لا انقطاع فيه ولا نهاية لـه بِنَـصِّ الآيـات القرآنيـة والأحـاديث النبوية .

---

(١) الكتاب سيبويه تحقيق وشرح عبد السلام هارون ١/٤٣٥ الهيئة المصرية العامة للكتـاب ١٩٧٧م .

(٢) التشويق ٢١ .

" أهــل "

أهــل الرجل من يجمعه وإياهم نسب أو دين أو ما يجرى مجراهما مــن صناعة وبيت وبلد ، وتعورف فى أسرة النبى - ﷺ - مطلقا ، وأهــل الرجــل عشيرته وذوو قرباه ، وآل أصلها أهل بدليل تصغيرها على أُهَيِّـــل ويختــص بالأشهر والأشرف ، والأهل للبيت سكانه ومن المجاز الأهل للرجـــل زوجتــه ويدخل فيه الأولاد ، والأهل لكل نبـــى أمتـــه ، وأهــل لكــذا مســتوجب لــه ومستحق . (١)

" الجنة "

أصل معنى الجنة مأخوذ من جنَّ الشىء جنا: ستره وكل شىء ستر عنك فقد جن عنك والجنة المرة الواحدة من مصدر الفعل جَنَّة إذا ستره كأن الجنـــة سترة واحدة . والجمع : جنان وهى الحديقة ذات الشجر والنخل وقيل:لا تكون الجنة فى كلام العرب إلا وفيها نخل وعنب فإن لم يكن فيها ذلك وكـــانت ذات شجر فهى حديقة وليست بجنة والجنة من الاجتنان وهو الستر لتكاثف أشــجارها وتظليها بالتفاف أغصانها . وورد الجنة فى القرآن الكريم والحديـــث النبــوى الشريف بمعنى دار النعيم فى الآخرة وإنما سميت بالجنة إما تقريباً لمفهوم النعيم الأخروى إلى العباد بتشبيهها بجنة الأرض وإن كان بينـــهما بَــوْنٌ لا لتحديــد مفهومها وإما لستر الله تعالى عنا المشار إليها بقوله تعالـــى : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ . (٢) ووردت فى القـــرآن الكريم " جنات " بلفظ الجمع لكون الجنان سبعاً : جنة الفردوس وعَـــدْن وجنـــة النعيم ودار الخلد وجنة المأوى ودار السلام وعليين . (٣)

---

(١) تاج العروس مادة أهل .

(٢) سورة السجدة : الآية ١٧ .

(٣) لسان العرب مادة جن ط دار المعارف والمفردات ٩٨ .

وأصحاب الجنة هم المتقون الذين آمنوا وعملوا الصالحات ودخلوا فـــى تجارة رابحة مع الله تعالى باعوا أنفسهم جهاداً وتضحية وإعلاء لكلمـــة الحـــق واشتروا الجنة أعدها الله لهم وأزلفها وجعلها تعالى لهم أجراً وميراثـــاً تفضـــلاً منه تعالى وكرماً .

وأوثر " **أهل** " هنا لأن الرسول – ﷺ – المبعوث رحمة للعالمين وأنـــه بالمؤمنين رؤوف رحيم يدخل البشرى على قلب قائل " سيد الاستغفار " بأنـــه إذا كان دخل الجنة ووجد فيها ما يوحى به لفظ " أهل " من معـــان فـــهو يجـــد الأنس وعدم الوحشة فالعرب تقول فى التحية : مرحباً وأهلاً أى : أتيت ســـعة لا ضيقاً وأتيت أهلاً لا غرباء ولا أجانب فَاْستَأنِسْ ولا تستوحش وهكذا يكـــون مع أهل الجنة .

وكانوا يسمون القُرَّاءَ أهل الجنة أى حفظة القرآن العاملين به هم أوليـــاء الله المختصون به اختصاص أهل الإنسان به فكذلك فـــى الجنـــة هـــم أهلـــها ومختصون بها .

وكانوا يقولون لأهل مكة : أهل الله تعظيماً فكذلك الحال مع أهل الجنـــة فى الآخرة ينادون بأهل الجنة تكريماً وتشريفاً .

وأنهم استوجبوا الجنة واستحقوها فهم أهل لها وأنـــهم مشـــوقون إليـــها راغبين فيها كما قيل فى المثل : الأهل إلى الأهل أســـرع مـــن الســـيل علـــى السهل . (١) ومما يؤكد ذلك دلالة " مِنْ " التبعيضية التى تدل على أنه مثل أهـل الجنة ومن جنسهم تماثل البعض كله .

وأوثر **لفظ " أصحاب " فى القرآن الكريم** لأن القرآن كان يخطط لمنـــهج الإسلام ويرسم معالم الحياة المؤمنة فطلب من المؤمنين العمل وتنفيذ الأوامـــر

---

(١) تاج العروس مادة أهل .

واجتناب النواهى وطاعة الله وطاعة رسوله ولذا أوثر لفظ " أصحاب الجنـــة " لما يوحى به لفظ الصحبة من معنى الملازمة والانقياد والذلة بعـــد المجـاهدة والصعوبة والاستقامة واستمداد العون من الله تعالى ([1]) وكـــل ذلـك أسـباب مهمة فى استحقاق الجنة فآثر القرآن لفظ " أصحاب " لأنها تشعر بأن مَنْ فـــى الجنة قد أخذ بالأسباب الموصلة إليها وتأتى الجملة الشرطية الثانية .

" ومن قالها بالليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو مـــن أهـل الجنة " .

وقد عرفنا كل ما يتعلق بأجزاء نظمها من خلال تحليل الجملة الشرطية الأولى ولم يبق إلا أن نشير إلى أنه بذكر الجملة الثانية قد تحقق طرف المقابلـة الثانى وعليه فالمقابلة بين " بالنهار " و " يسمى " وبين " بالليل " و " يصبح " .

والمقابلة كالطباق يجمعان المعانى المتقابلة والألفاظ المتضادة فى ربقـــة واحدة تعطى الأسلوب قوة وحيوية فيجمعـــان أمـــوراً لا تجتمـــع فـــى العـــادة ويجعلانها مقترنة متلاصقة ويريانا الحياة مع الموت والنور مع الظلام والصحة مع المرض والفقر مع الغنى . ([2])

وهذا الجمع " يحدث الائتلاف بيـــن المختلفـــات ويحقـــق العنـــاق بيـــن المتنافرات وذلك مكمن الإبداع فى العربية " . ([3])

وأسلوب المقابلة فيه تشويق وإلهاب للمشاعر لأنه يؤثر فـــى الأســلوب شكلاً ومضموناً وكأنه يعقد مقارنة بين الطرفين مما يجلى الفرق بينهما مـــاثلاً أمام العيون . ([4])

([1]) المرجع السابق مادة صحب .

([2]) بلاغة الدعاء فى الحديث النبوى ٣٨٢ .

([3]) البلاغة ذوق ومنهج د. عبد الحميد العبيسى ٥٠٢ مطبعة حسان ط أولى ١٩٨٤م .

([4]) التشويق ٢٠٧ ، ٢٠٨ .

الإطناب فى الجملتين الشرطيتين :

مما سبق فى التحليل يتضح لنا أن معنى الجملتين يمكن أن يؤدى فى أقل الألفاظ كأن يقال مثلاً : من قالها بالنهار أو بالليل فمات فهو من أهل الجنة .

ولكن من خلال التحليل وقفنا على سر كل حرف وكل كلمة وعرفنا أن الزيادات جاءت لأغراض بلاغية يختل معها الكلام إذا حذف شيء منها فكل كلمة لها دلالاتها التى تلقيها فى نفس الداعى فتبعث فى نفسه الأمل وقوة الرجاء فى المثوبة والمغفرة ولها ظلالها التى تبعث الطمأنينة فى قلب الداعى وترسخ الثقة فى نفسه بوعد الله تعالى على لسان رسوله - ﷺ - وبذا نجد الدعاء وهو من جوامع الكلم – كما عرفنا – فى قمة الإيجاز يتشابك ويتكامل مع الإطناب فى الجملتين الأخيرتين مما يدل " على أن أروع أساليب الإيجاز قد تحتوى على صور من الإطناب كما أن أشهر أساليب الإطناب قد تحتوى على غرر من روائع الإيجاز " . (١)

تشابه الأطراف فى حديث " سيد الاستغفار ":

من المحسنات المعنوية البديعة تشابه الأطراف الذى هو نوع من مراعاة النظير فيه مناسبة المعنى للمعنى وهو أن يختم الكلام بما يناسب أوله فى المعنى فهو مختص بالجمع بين متناسبين أحدهما فى الابتداء والآخر فى الانتهاء . (٢)

وهذا متحقق فى حديث " سيد الاستغفار " حيث بدأه بـ " سيد " وختمه بما يناسبه وهو " أهل " وهذا فى غاية المناسبة حيث ربط بين أول الحديث وآخره وكأن الحديث جملة واحدة يبدؤه الداعى وهو مشدود إلى نهايته وفى

---

(١) بلاغة الدعاء فى الحديث النبوى ٢٩٤ .

(٢) شروح التلخيص ٣٠٤/٤ وبغية الإيضاح ١٨/٤ .

ذلك راحة للداعى واستقرار نفسه حيث أورثه سيد الاستغفار أن يكون من أهـــل الجنة .

وبعد فهذا آخر ما فتح الله به علينا والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحـــات وأرجو من الله تعالى أن يسامحنا فى تجاوزنا وأن يستر لنا عيوبنا ويجعل هـــذا العمل فاتحة خير لكل من يقرأه وباب قبول لمن تأمله إنه نعـــم المولـــى ونعـــم المجيب .

وكان الفراغ منه فى مغرب يوم الخميس الثالث من شهر جمادى الأولـــى سنة ألف وأربعمائة وأربع وعشرين من الهجرة المشرفة الموافق الثـــالث مـــن يوليو سنة ألفين وثلاث .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ،،

المراجـــــع

١- الإتقان فى علوم القرآن للسيوطى – الهيئـــة المصريـــة العامـــة للكتـــاب ١٩٧٤م .

٢- الأساليب الإنشائية فى النحو العربى عبد السلام هارون – مكتبة الخـــانجى ١٩٧٩م .

٣- أساليب النفى فى القرآن د. أحمد ماهر البقرى – دار المعارف ١٩٨٥م.

٤- أسباب المغفرة لابن رجب الحنبلى تحقيق أشرف عبد المقصود – مكتبـــة التراث الإسلامى ١٩٨٧م .

٥- أسرار الترادف فى القرآن الكريم على اليمنى دردير – دار ابـــن حنظـــل ١٩٨٥م .

٦- أسلوب الشرط بين النحويين والبلاغيين د. فتحى بسيونى حمودة دار البيان العربى بجدة ١٩٨٥م.

٧- أسماء الله الحسنى دراسة فى البنية والدلالة د. أحمد مختار عمر – عـــالم الكتب بالقاهرة ط أولى ١٩٩٧م .

٨- الإصابة فى تمييز الصحابة لابن حجر – دار الكتب العلمية – بيروت.

٩- الأطول على التلخيص للعصام المطبعة السلطانية ١٢٨٤هـ .

١٠- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية للرافعى – دار الكتاب العربى .

١١- إعراب الجمل وأشباه الجمل د. فخر الدين قباوة – دار الآفاق الجديـــدة بيروت ط أربعة ١٩٨٣م .

١٢- إعراب النص دراسة فى إعراب الجمل التى لا محل لها من الإعـــراب د. حسنى عبد الجليل يوسف دار الآفاق العربية بالقاهرة ١٩٩٧م .

١٣- بدائع الفوائد لابن القيم – مكتبة ابن تيمية بالقاهرة ومكتبة العلم بجدة.

١٤- البحر المحيط لأبى حيان الأندلسى – دار الفكر ط ثانية ١٩٨٣م .

١٥- بلاغة الدعاء فى الحديث النبـــوى د. ســـلامة جمعـــة داود – رســـالة دكتوراه كلية اللغة العربية بالقاهرة ١٩٩٨م .

١٦- البلاغة ذوق ومنهج د. عبد الحميد العبيسى مطبعـــة حســـان ط أولـــى ١٩٨٤م .

١٧- البلاغة العربية أسسها وفنونها وصور من تطبيقاتها بهيكل جديـــد مـــن طريف وتليد عبد الحميد حسن حبنكة الميدانى دار القلم بدمشق والـــدار الشامية – بيروت ط أولى ١٩٨٧م .

١٨- تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدى تحقيق على شـــيرى – دار الفكر – بيروت ١٩٩٤م .

١٩- التشويق خصائصه ووسائله فى البلاغة العربية السيد محمد موســـى – رسالة ماجستير كلية اللغة العربية بالمنصورة ٢٠٠٢م .

٢٠- التفسير البلاغى للاستفهام فى القرآن الحكيم د عبد العظيـــم المطعنـــى مكتبة وهبة ط أولى ١٩٩٩م

٢١- تهذيب الأسماء واللغات للإمام النووى دار الكتب العلمية – بيروت .

٢٢- الجدول إعراب القرآن وصرفه محمود صافى مراجعه لينيه الحمصـــى دار الرشيد – دمشق – بيروت ط أولى ١٩٨٦ م .

٢٣- الجملة الشرطية الواقعة فى خواتيم الآيات القرآنية ومقامتها البلاغيـــة د . رفعت السودانى التركى بطنطا ط أولى ١٩٩٥ .

٢٤- حاشية على مختصر ابن أبى حمرة الشيخ محمد الشنوانى – عيســـى البابى الحلبى وشركاه .

٢٥- حديث " ما " اقسامها وأحكامها د . عبد الرحمن المقـــدى – النـــادى الأدبى بالرياض ١٩٨٠م .

٢٦- حقيقة لا إله إلا الله منهج حياة أبو الأعلـــى المـــوردى وســـيد قطـــب وصالح بن فوزان – مكتبة السنة بالقاهرة ط أولى ١٩٩٢م .

٢٧- دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجانى تعليق الشـــيخ محمـــود شـــاكر الخانجى ط ثانية ١٩٨٩م .

٢٨- دليل الفالحين بطرق رياض الصالحين لابن علامة الصديقـــى تعليـــق محمود حسن ربيع – مصطفى البابى الحلبى وشركاه

٢٩- رسائل الجاحظ تحقيق عبد السلام هارون مكتبة الخانجى .

٣٠- سر الفصاحة لابن سنان الخفاجى شرح عبد المتعال الصعيدى – مكتبة محمد على صبيح ١٩٦٩ م .

٣١- شرح التصريح على التوضيح للشيخ خالد الأزهـــرى – دار إحيـــاء الكتب العربية – عيسى البابى الحلبى وشركاه .

٣٢- شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصارى ضبط وتصحيح عبد الرحمـــن البرقوقى دار الاندلس – بيروت .

٣٣- شروح التلخيص السعد وآخرون دار السرور بيروت صورة .

٣٤- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجـــاز للعلـــوى – دار الكتب العلمية – بيروت .

٣٥- عبقرية محمد العقاد دار النهضة مصر بالقاهرة .

٣٦- عقيدة المؤمن لأبى بكر الجزائرى مكتبة الكليات الأزهرية .

٣٧- علم المعانى د . بسيونى فيود – مؤسسة المختار بالقاهرة ودار الثقافـة بالأحساء ط أولى ١٩٩٨ م .

٣٨- علم المعانى ومقتضى الحال د . أسعد أحمد على – دار السؤال جامعة دمشق ١٩٧٨ م .

٣٩- عمدة القارى شرح صحيح البخارى للعينى دار الـــتراث العربـــى – بيروت .

٤٠- الفائق فى غريب الحديث للزمخشرى تحقيق محمد أبى الفضل إبراهيـم وعلى محمد البجاوى – دار المعرفة بيروت ط ثانية .

٤١- فتح البارى بشرح صحيح البخارى لابن حجر تحقيق طه عبد الرؤوف سعد وآخرون – مكتبة القاهرة ط ١٩٧٨ م .

٤٢- الفتوحات الربانية على الأذكار النووية لابن علان الصديقى دار إحيـاء التراث العربى بيروت .

٤٣- الفروق اللغوية لأبى هلال العسكرى دار الكتب العلمية – بيروت .

٤٤- فيض القدير شرح الجامع الصغير للعلامة المناوى دار إحيـــاء الســـنة النبوية بالقاهرة .

٤٥- الكافية فى النحو لابن النحوى المالكى شرح رضى الدين محمـــد بـــن الحسن الاستراباذى النحوى دار الكتب العلمية – بيروت .

٤٦- الكتاب سيبوية تحقيق عبد السلام هارون – الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٧م .

٤٧- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوة التأويل للزمخشرى دار المعرفة – بيروت .

٤٨- كلمة الإخلاص لابن رجب الحنبلى .

٤٩- لسان العرب لابن منظور ط دار المعارف بمصر .

٥٠- لوامع البينات شرح أسماء الله تعالى والصفات للفخر الرازى تعليق طه عبد الرؤوف سعد – دار الكتاب العربى بيروت ط ثانية ١٩٩٠ م .

٥١- مدارج السالكين بين منازل " إياك نعبد وإياك نستعين " لابن القيم – دار الحديث بالقاهرة ط أولى ١٩٨٣ م .

٥٢- مستتبعات التراكيب بين البلاغية القديمة والنقد الحديث د . عبد الغنى بركة دار الطباعة المحمدية ط أولى ١٩٨٩ م .

٥٣- معجم الألفاظ القرآن الكريم مجمع اللغة العربية بالقاهرة ١٩٨٩ م .

٥٤- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم محمد فؤاد عبد الباقى – دار الحديث بالقاهرة ط أولى ١٩٨٦ م .

٥٥- مغنى اللبيب لابن هشام مع حاشية الدسوقى مطبعة المشهد الحسينى ١٣٨٦ هـ .

٥٦- المفردات فى غريب القرآن للراغب الأصفهانى تحقيق محمد سيد كيلانى دار المعرفة بيروت .

٥٧- من أسرار التركيب البلاغى د . السيد عبد الفتاح حجاب – المكتبة التوفيقية ط أولى ١٩٧٧ م

٥٨- من أسرار حروف الجر فى الذكر الحكيم د . محمد الأمين الخضـــرى مكتبة وهبة ط أولى ١٩٨٩ م .

٥٩- من أسرار حروف العطف فى الذكر الحكيـــم " الفـــاء " مـــا " ثـــم " د . محمد الأمين الخضرى مكتبة وهبة ط أولى ١٩٩٣ م .

٦٠- من بلاغة النظم العربى د . عبد العزيز عبد المعطى عرفة – عـــالم الكتب – بيروت ط ثانية ١٩٨٤ م .

٦١- من دقائق البيان النبوى فى صيغة التلبية د . رفعت السودانى – مقـــال فى مجلة اللغة العربية بإيتاى البارود عدد ١٩ سنة ٢٠٠٣ م .

٦٢- النحو الوافى عباس حسن دار المعارف ط ثامنة .

٦٣- النشر فى القراءات العشر لابن الجزرى تحقيق د . محمد سالم محيسن مكتبة القاهرة .

٦٤- النعمة اشتقاقها – أنواعها فى السياق القرآنى دراسة بيانيـــة تحليليـــة د . محب جلال عبد الفراج – مقال فى مجلة أصول الديـــن والدعـــوة بالمنصورة عدد ٩ سنة ٢٠٠٣ م .

٦٥- النفس فى القرآن د . أحمد عمر هاشم دار الفيصل ١٩٩٦ م

٦٦- النهاية فى غريب الحديث والأثر لابن الأثير تحقيـــق ظـــاهر أحمـــد الزواوى ومحمود محمد الطناحى المكتبة العلمية – بيروت .

٦٧- الواو ومواقفها فى النظم القرآنى د . محمد الأمين الخضرى – رســـالة دكتوراه كلية اللغة العربية بالقاهرة ١٩٨٣ .

٦٨- الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز للدامغانى تحقيق محمد حســـن أبى العزم الزفيتى المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٩٩٥ م.

الفهـــــرس

الموضـــــــــوع	الصفحة
نص الحديث	٧٥
مناسبة حال الراوى لمضمون الحديث	٧٥
التحليل	٧٦
سيد الاستغفار	٧٦
لفظ سيد	٧٦
الغفر	٧٧
الاستغفار فى القرآن الكريم	٧٨
استغفار النبى - ﷺ -	٨٠
من مظاهر البلاغة فى اللفظ الشريف " سيد الاستغفار "	٨٢
أن يقول العبد	٨٣
اللهم	٨٦
الجملة الأولى : " أنت ربى "	٨٨
الجملة الثانية : " لا إله إلا أنت "	٩٠
الجملة الثالثة : " خلقتنى "	٩٣
الجملة الرابعة : " وأنا عبدك "	٩٥
الجملة الخامسة : " وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت "	٩٩

الموضـــــــــوع	الصفحة
الجملة السادسة : الدعاء الأول " أعوذ بك من شر ما صنعت "	١٠٤
بين يدى الدعاء الأول : " أبوء لك بنعمتك علـــى وأبوء بذنبى " .	١١١
الجملة التاسعة : الدعاء الثانى : " فاغفر لى " .	١١٨
الجملة العاشرة : تعليل الدعاء الثانى : " فإنه لا يغفر الذنـــوب إلا أنت " .	١٢٣
بلاغة القصر فى حديث " سيد الاستغفار "	١٢٦
كثرة الأساليب الخبرية فى الدعاء النبوى .	١٣٢
حديث " سيد الاستغفار " والإيجاز .	١٣٣
البشر للداعى بـــ " سيد الاستغفار " .	١٣٥
" من قالها بالنهار ... ومن قالها بالليل ... "	١٣٥
الإطناب فقى الجملتين الشرطيتين .	١٤٩
تشابه الأطراف فى حديث " سيد الاستغفار " .	١٤٩
ختام	١٥٠
المراجع	١٥١
الفهرس	١٥٧

تم بحمد الله تعالى ؛؛؛